

مدخل لفهم الحداثة

إعداد

د/ أحمد محمد زايد

الاستاذ المشارك - بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية.

كلية الشريعة - جامعة قطر.

2016/2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

فهذه دراسة وجيزة حول فكر غريب وافد تقف وراءه جهات أجنبية مشبوهة، تموّله وتدعمه، فكر قلق مضطرب غامض، يحمل في ثناياه توجهات لا دينية، التقت عنده أفكار كثيرة هدامة، فكر عاش في كل البيئات الآسنة، والأجواء الموبوءة، من الغرب نبت وفيه ترعرع، وإلينا يبتغي نقله وتوريده، إنه فكر الحداثة، ومن هنا جاءت نصيحة أساتيدي الفضلاء بالكتابة حول هذا الموضوع الشائك الخطير، لبيان شيء من حقيقته، والوقوف على مخاطره وكيفية مواجهته، فجزاهم الله تعالى كل خير، ولما كان الموضوع طويل الذيل، مترامي الأطراف، متعدد الجوانب، وفي ذات الوقت كانت طبيعة البحث لا تتحمل التقصي والاستقراء والإحاطة، فتحتم أن يتناسب العرض مع طبيعة البحث، من حيث الإيجاز والاختصار، فجعلت التقصي -قدر الإمكان في الاطلاع - والإيجاز -قدر الإمكان - في الكتابة والتسطير .

ولقد جاء هذا البحث في مقدمة وعدة مباحث على النحو التالي :

المقدمة : وتضمنت تعريفات الحداثة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول : مبادئ الحداثة (عرض ونقد).

المبحث الثاني : خصائص الحداثة .

المبحث الثالث : مخاطر الحداثة .

المبحث الرابع : كيفية مواجهة الخطر الحداثي .

المراجع .

فهرست الموضوعات.

أولا :التمهيد

تعريف الحداثة

نحن الآن أمام مصطلح موهم غاية الإيهام، فبينما نحسب أنه يحمل معنى أصيلا، وفكرا ذاتيا، إذا به عند التحقيق نجده فكرا مستعارا مستوردا، ليس لدعائه في بلادنا إلا النقل من لغته إلى العربية. وبينما نحسبه قضية ذات شأن عظيم إذا به فكر شائه وغشاء فارغ، بل وخطر داهم. الحداثة يحيط بمعناها غشاء كثيف يحجب الرؤية، ويشتت الذهن، فإذا ما بدا من معناه شيء شعر المرء بالغثيان والصدود، وهكذا الباطل ظلمات بعضها فوق بعض، بينما الحق نور يتلأأ. ولعل سيرنا في آفاق هذا البحث يبين لنا كثيرا من معنى الحداثة ومقاصد الحداثيين .

تعريف الحداثة :

أولا : التعريف اللغوي .

ثانيا : التعريف الاصطلاحي .

أولا: التعريف اللغوي :

في معاجم اللغة العربية في مادة ( حدث ) نرى أن الحديث : نقيض القديم، والحديث : الخبر يأتي على القليل والكثير، ويجمع على أحاديث على غير قياس . والحدوث : كون الشيء بعد أن لم يكن...

واستحدثت خبرا : أي وجدت خبرا جديدا، وتقول : افعل هذا الأمر بحدثانه وبحدثاته أي : في أوله وطراوته .

ومستحدثات : مولدات<sup>1</sup> وحديث السن وغلمان .

وفي اللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية ) نجد أن كلمة حداثة لفظ أوربي المنشأ، ففي الإنجليزية لفظان :

Modernism و modernity ومثلهما في الفرنسية، والترجمة العربية لهذين المصطلحين

تختلف من حداثة إلى عصرية إلى معاصرة .

فالدكتور محمد مصطفى هدارة يفرق في الترجمة بينهما على النحو التالي :

1- Modernity تعني المعاصرة والعصرية، وتعني المعاصرة في تعريفه أو تعبيره " إحداث تغيير وتجديد في المفاهيم السائدة، والمتراكمة عبر الأجيال نتيجة تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه اختلاف الزمن.

<sup>1</sup> - الصحاح في اللغة والعلوم /ندم مرعشلي -أسامة مرعشلي /تقدم الشيخ /عبد الله العلايلي ص 315 ط الأولى - دار الحضارة العربية -بيروت- 1975م - ، ومختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي ص 110- ط مكتبة لبنان - 1999م- إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان.

modernism فحسب تعبيره تعني الحداثة التي هي عنده مذهب أدبي أو نظرية فكرية تدعو إلى التمرد على الواقع، والانقلاب على القديم الموروث بكل جوانبه ومجالاته<sup>2</sup> وآخرون يختلفون مع هدارة فيجعلون كلمة modernism لفظاً دالاً على حب الجديد، كما يدل على العصرية، ثم تطور حتى غدا مصطلحاً له دلالة على مذهب الحداثة المعلوم في الأدب كما سيظهر .

أما كلمة modernity فهي تصف الزمن الثاني لهذه الحقبة كما تصف حداثة الأدب بكونه عصرياً<sup>3</sup>

فللمصطلح جذر عربي له دلالة من حيث مشتقاته فهو يعني :  
 الجدة - الشباب - أول الأمر وبدايته - حدوث شيء لم يكن - الخبر إلى غير ذلك من المعاني، لكنه عند الترجمة من اللغة الأجنبية إنجليزية كانت أو فرنسية نجد اللبس والغموض والاضطراب والتفاوت واقعا ظاهرا، وهذا لا شك - في نظري - ينقل الاضطراب والتفاوت إلى المفهوم والتعريف الاصطلاحي كما سنرى فيما يأتي من البحث إن شاء الله .  
التعريف الاصطلاحي للحداثة :

عند تعريف الحداثة اصطلاحاً نجد أننا أمام كم هائل من التعريفات، وتعريفها بلسان أصحابها يحوطه الغموض واللبس والاضطراب، ولذلك سبب سنيينه فيما بعد إن شاء الله تعالى . وللحداثة تعريفات عند أهلها الأصليين التي نشأ المصطلح بينهم وفي بيئتهم، وله تعريفات عند دعاة الذين هم أبواق الغرب في بلادنا، وكذلك عرفها الرافضون لها من المسلمين وغيرهم . فعلى صعيد اللسان الغربي نجد أن الحداثة عند أهل الغرب تعني : " تجسد صورة نسق اجتماعي متكامل، وملامح نسق صناعي منظم وآمن وكلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات "<sup>4</sup> وهذا التعريف عند (ماركس وإميل دور كايم، وماكس فيبر) . وهي عند "جيدن" : تتمثل في نسق من الانقطاعات التاريخية عن المراحل السابقة حيث تهيمن التقاليد والعقائد ذات الطابع الشمولي الكنسي<sup>5</sup>

<sup>2,3</sup> - انظر / نظرية تقويم الحداثة د/ عدنان علي رضا النحوي ص 26- 30 ط الأولى - دار النحوي للنشر والتوزيع ط 1992م - نقلا عن/ مجلة الحرس الوطني ص 103 عدد (86) ربيع آخر 1410هـ - نوفمبر 1989م .

<sup>4</sup> - " مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة " بحث للكاتب الحدائي /علي وطفة- ص 2- مجلة فكر ونقد -عدد (34) من موقع محمد عابد الجابري وتوجد منها نسخة إلكترونية في موقع محمد عابد الجابري [www.aljabriabd.com](http://www.aljabriabd.com)

<sup>5</sup> - السابق ص 10 .



ويعرف الفيلسوف الألماني " كانت " الحادثة في سياق إجابته عن سؤال ما الأنوار فيقول :  
الأنوار أن يخرج الإنسان من حالة الوصاية التي تتمثل في استخدام فكره دون توجيه من غيره<sup>6</sup>  
. وباعتبار أن (كانت) من آباء الحادثة الغربية فإنه يؤكد " في كل أعماله أن شرط التنوير  
والحادثة هو الحرية .... بمعنى أن العقل يجب أن يتحرر من سلطة المقدس ورجال الكهنوت  
والكنيسة وأصنام العقل"<sup>7</sup>

ويعرف ( رولان بارت ) الحادثة بأنها "انفجار معرفي لم يتوصل الإنسان المعاصر إلى السيطرة  
عليه"<sup>8</sup> ويصف لنا (جوس أورتिका كاسيت) الحادثة قائلا: " إن الحادثة هدم تقدمي لكل القيم  
الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب الرومانسي والطبيعي، وأنها لا تعيد صياغة الشكل فقط بل  
تأخذ الفن إلى ظلمات الفوضى واليأس"<sup>9</sup> والحادثة عند (تورين) باختصار كما يقول في كتابه  
نقد الحادثة " تستبدل فكرة الله بفكرة العلم، وتقصر الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل  
فرد"<sup>10</sup>

وقفة مع هذه التعريفات :

هذه التعريفات بعض من كل مما ورد على ألسنة أهل الحادثة من الغربيين على اختلاف مشاربهم  
واتجاهاتهم، وهي تشير في مجملها إلى عدة معان تبدو ظاهرة منها :

- أن الحادثة فكرة لا تقتصر على الجانب الأدبي فقط كما تصور البعض، إنما هي نظرية  
وفلسفة تعم وتشمل كافة الجوانب الحياتية الاجتماعية كانت أم معرفية أم صناعية أم غيرها،  
وبالتالي فالحدثيون يقدمون تصورا هداما لحياة الناس يشمل مختلف نواحيها.
- أن الأساس الذي تقوم عليه فكرة الحادثة هو العقل والعقلانية التي تهدر معها كل ما لا  
يدركه العقل، فالعقل المتحرر من كل سلطان هو معيار أهل الحادثة بل هو السلطان الحاكم  
على الأشياء .
- الحادثة معاكسة مع الماضي وانقطاع عنه، فهي انفصال للحديث عن القديم، بل هي ثورة  
على كل قديم مقدس أو غير مقدس .
- إنها الحرية المطلقة التي لا يقف في طريقها ضابط، ولا يحكمها شيء .
- أن الحادثة لا تتحقق إلا بحركة الإنسان حرا طليقا دون وصاية عليه من أي جهة .

6 - السابق ص 11 .

7 - السابق ص 11 .

8 - تقوم نظرية الحادثة د/ عدنان علي رضا النحوي ص 35 ط 1 الأولى 1412هـ - 1992م دار النحوي للنشر والتوزيع -  
السعودية

9 - السابق ص 35 .

10 - مقاربات في مفهومي الحادثة وما بعد الحادثة ص 16 سابق .

- الحداثة فكرة ضد الله والغيب، وفي ذات الوقت لا تتحقق إلا بعزل الدين عن شئون الحياة، وقصره على الشئون الخاصة بكل فرد.

تعريف الحداثة عند دعاة في بلاد الإسلام :

سنحظى هنا بتعريفات كثيرة لدى الحداثيين العرب نذكرها ثم نعلق عليها ثم نعقد مقارنة بين تعريفها عندهم عند أهل الغرب، لنخرج من هذه المقارنة بفوائد تظهر لنا كثيرا من الحقائق في هذا البحث .

الحداثة عند أدونيس في كتابه الثابت والتحول : " هي الصراع بين النظام القائم على السلفية، والرغبة العاملة لتغيير هذا النظام "11، ثم يذكر في ذات الكتاب أنه " لا يمكن أن تنهض الحياة العربية، ويبدع الإنسان العربي إذا لم تنهدم البنية التقليدية السائدة للفكر العربي، ويتخلص من المبنى الديني التقليدي الاتباعي "12

ويرى جابر عصفور أن الحداثة : " البحث المستمر للتعريف على أسرار الكون من خلال التعمق في اكتشاف الطبيعة والسيطرة عليها وتطوير المعرفة بها، ومن ثم الارتقاء الدائم بموضع الإنسان من الأرض، أما سياسيا واجتماعيا فالحداثة تعني الصياغة المتجددة للمبادئ والأنظمة التي تنتقل بعلاقات المجتمع من مستوى الضرورة إلى الحرية، من الاستغلال إلى العدالة، ومن التبعية إلى الاستقلال و ومن الاستهلاك إلى الإنتاج، ومن سطوة القبيلة أو العائلة أو الطائفة إلى الدولة الحديثة ومن الدولة السلطوية إلى الديمقراطية ( تعني الحداثة الابداع الذي هو نقيض الاتباع، والعقل الذي هو نقيض النقل "13.

ويرى ناصيف أن الحداثة "هي حالة خروج من التقاليد وحالة تجديد، وتحدد الحداثة في هذا المعنى بعلاقتها التناقضية مع ما يسمى بالتقليد أو التراث أو الماضي "14 وأنقل هنا عدة فقرات من مقال لكاتب حدائى يمجّد الحداثة ويعمل على تأصيلها في الواقع العربي يقول عن الحداثة:

- أنها تغيير في كل الاتجاهات لبنى الواقع والفكر العربيين، إنها اندراج دون أوهام في العالمية والحضارة المادية وأولوياتها، هي إنهاء الخصوصية وهذا التراث .

- الحداثة تعني ظهور الفردية والوعي الفردي المستقل والاهتمامات الخاصة، وذلك بالقياس إلى المجتمع التقليدي الذي يتميز بالطابع السحري الديني .

11 - الحداثة في ميزان الإسلام د/ عوض القرني ص 8 ط أولى ، دار الأندلس الخضراء -السعودية - نقلا عن الثابت والتحول لأدونيس .

12 - تقويم نظرية الحداثة ص - 35 نقلا عن مجلة الحرس الوطني محمد مصطفى هدارة -

13 - مقارنة بين مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة ص 3 .

14 - السابق ص 3.

- وهي صيغة انفصال وإبداع فردي وتحديد يسم الظاهرة الاجتماعية، وهي محاولة دائمة لهدم القديم وتدميره.<sup>15</sup>

- الحداثة هي حالة ولادة جديدة لعالم يحكمه العقل، وتسوده العقلانية، وبعبارة أخرى الحداثة وضعية اجتماعية وحضارية تجعل من العقل والعقلانية المبدأ الأساس الذي يعتمد في مجال الحياة الشخصية والاجتماعية، وهذا يقتضي وجود حالة رفض لجميع العقائد والتصورات وأشكال التنظيم الاجتماعي التي لا تستند إلى أسس عقلية أو علمية<sup>16</sup> والحداثة عند كمال أبو أديب هي: "وعى الزمن بوصفه حركة تغيير ... والحداثة اختراق لهذا السلام مع النفس ومع العالم، وطرح للأسئلة القلقة التي لا تطمح إلى الحصول على إجابات نهائية، بقدر ما يفتتها قلق التساؤل وحى البحث، والحداثة جرثومة الاكتناه الدائب القلق المتوتر، إنها حمى الانفتاح"<sup>17</sup>

ويقول أيضا: "الحداثة انقطاع معرفي ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث، في كتب ابن خلدون الأربعة، أو في اللغة المؤسساتية، والفكر الديني، وكون الله مركز الوجود، وكون السلطة السياسية مدار النشاط الفني، وكون الفن محاكاة للعالم الخارجي، الحداثة انقطاع، لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر، والفكر العلماني، وكون الإنسان مركز الوجود، وكون الشعب الخاضع للسلطة مدار النشاط الفني، وكون الداخل مصدر المعرفة اليقينية- إذا كان ثمة معرفة يقينية، وكون الفن خلقا لواقع جديد..<sup>18</sup>

#### مقارنة وحقيقة :

بأدنى تأمل ونظر في التعريفات السابقة وما سبقها من تعريفات الغربيين للحداثة يدرك الناظر الاتفاق شبه الكامل في معنى الحداثة بين الفريقين وإن كانت عبارة أرباب الحداثة في بلادنا أشد جرأة وتبجحا وضلالا، وكلا الفريقين يقرر أن الحداثة فكرة ضد الدين، وضد التراث، وضد القديم، وأنها تحرر مطلق من القيود الضابطة من دين أو خلق أو حتى عرف اجتماعي قبلته الأذواق السليمة، هذه صورة مقارنة وجيزة، ومنها نخلص إلى حقيقة تعد من الواضحات التي لا تحتاج إلى دليل ألا وهي :

أننا عرفنا مصدر الحداثة التي يتشدد بها دعاؤها في بلادنا، إنها الفلسفة والتصورات الغربية التي نشأت في أجواء مخالفة تماما لأجوائنا الإسلامية، وفي ظروف ولأسباب تخالف ظروفنا وأحوالنا

15 - السابق ص 8 .

16 - السابق ص 15، 16 .

17 - تقويم نظرية الحداثة د/ النحوي ص (38) نقلا عن مجلة فصول ص (35) - عدد (3) - سنة 1984 م - المجلد (4) .

18 - السابق ص (39)

كأمة مسلمة تملك تصورات ربانية عن الكون والحياة، ومن هنا فنحن أمام فكرة لقيطة، ونظرية غربية ملحدة غاية الجدة فيها أنها مترجمة لبست ثوبا عربيا أو حاولت .  
تلك هي الحقيقة الأولية التي أردت أن أبرزها دون تعسف أو تقول على أحد، وستجلى هذه الحقيقة بعد في ثنايا هذا البحث الوجيز عن الحداثة إن شاء الله .  
تعريفات<sup>19</sup> الحداثة عن رافضيها :

عرفها المعنيون والباحثون فيها ممن يرفضونها بتعريفات عدة منها :  
تعريف د/ محمد مصطفى هدارة بقوله إنها: " اتجاه فكري أشد خطورة من الليبرالية والعلمانية والماركسية وكل ما عرفته البشرية من مذاهب واتجاهات هدامة، ذلك أنها تضمن كل هذه المذاهب الفكرية، وهي لا تخص مجالات الإبداع الفني والنقد الأدبي، ولكنها تخص الحياة الإنسانية في كل مجالاتها المادية والفكرية على حد سواء"<sup>20</sup>  
وهي عند عدنان علي رضا النحوي " مذهب فكري جديد يحمل جذوره وأصوله من الغرب، بعيدا عن حياة المسلمين بعيدا عن حقيقة دينهم، ونهج حياتهم، وظلال الإيمان والخشوع للخالق الرحمن"<sup>21</sup> وعند سهيلة زين العابدين " ثورة على الدين وعلى التاريخ وعلى الماضي، وعلى اللغة وعلى الأخلاق"<sup>22</sup>، وفي الموسوعة الميسرة الحداثة: " مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية... وتهدف إلى إلغاء مصادر الدين وما صدر عنها من عقيدة وشريعة"<sup>23</sup> .

19 - يلاحظ أننا تجوزنا في قولنا تعريفات ، إذ التعريفات أو الحدود عند العلماء لها ضوابط وشروط ، من ذلك أن العلماء اشتهروا في حسن التعريف :عدم الاشتغال على الحكم وذلك لأن الحكم على المعرف من مباحث التصديقات ، والتعريف من مباحث التصورات ، وقد قيل : " الحكم على الشيء فرع عن تصوره" فمتى حصل التصور حتى تنتقل إلى التصديق ؟ .. فإيراد الحكم في التعريف خطأ ينبغي اجتنابه ، قال الأخضري رحمه الله - في السلم :

وعندهم من جملة المردود أن تذكر الأحكام في الحدود  
وكذلك ترم كثير من العلماء بالإسهاب في التعريفات والتطويل فيها .انظر في ذلك كتاب :مقدمة في صنع الحدود والتعريفات /عبد الرحمن بن معمر السنوسي- ص 90- 92 ط الأولى 2004 م دار ابن حزم - بيروت - لبنان.  
، وتلك الشروط والضوابط لا تتوفر فيما أسميناه تعريفات للحداثة ، وما هي إلا وصف لها متضمن لبعض حقائقها، مع التطويل الملحوظ .

20 - الحداثة في الأدب العربي المعاصر هل انفض سامرها - مقال في مجلة الحرس الوطني ربيع الآخر 1410هـ.

21 - الحداثة من منظور إيماني - ص 13- ط الأولى- دار النحوي للنشر والتوزيع - السعودية

22 - جريدة الندوة السعودية - ص 7- عدد (8424) 14/ 3/ 1407هـ.

23 - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (877/2) إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي - ط الثالثة

1418هـ - بإشراف د/ مانع بن حماد الجهني . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - السعودية .

وفي الموسوعة العربية العالمية "الحداثة مصطلح واسع يشير إلى مذاهب وآراء وممارسات نقدية في الدين والأدب والمعمار والمجتمع، وتنطوي الحداثة في الغالب على رفض التقاليد ومحاولة إلغاء الماضي، والبحث عن اتجاهات ورؤى جديدة تلغي الميتافيزيقا وتؤكد دور الفرد"<sup>24</sup>.

#### ملاحظات على هذه التعريفات:

وهذه الأقوال ليست حدودا بالمعنى المعروف عند المناطقة وأهل الأصول، لكننا نرتضيها كتعريفات تنازلا لبيان الغرض المطلوب وهو بيان المقصود بالحداثة، ويلاحظ كذلك من خلال هذه التعريفات تأكيد ما قاله الحداثيون العرب المحسوبين على المسلمين أن هذه الفكرة غريبة المنشأ، وعلى حد قول د/ أحمد عز الدين " يكفي أن تفتش في جيوب أفرادها لتعرف نوع العملة والدولة التي يواليها هؤلاء الأقزام"<sup>25</sup>، كما يلاحظ أن الرافضين للحداثة لم يتجنوا على هؤلاء الحداثيين ولم يتقولوا عليهم إنما حكموا على الفكرة من خلال أقوال وتصريحات ومكتوبات أصحابها.

---

<sup>24</sup> - الموسوعة العربية العالمية حرف (ح) ص9 - وهي موسوعة مترجمة عن دائرة المعارف العالمية طبعت 1994/93/92 م مع

تنقيح المواد ومواءمتها عربيا وإسلاميا - مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع الرياض - السعودية.

<sup>25</sup> - بتصرف من مقالة شعر عصاة المجان حداثة أم غثاة ص 1 د/أحمد عز الدين - موقع صيد الفوائد/ [www.saaid.net](http://www.saaid.net)

## المبحث الأول

### مبادئ الحداثة عرض ونقد

اتخذ الحداثيون لنظريتهم - إن صح أن يكون لهم نظرية - عدة مبادئ نذكرها كما هي عندهم، ثم نذكر ما هو حق وما هو باطل من ذلك، وميزاننا في ذلك الكتاب الكريم، والسنة المطهرة وهما ميزان لا يخطئ، ومعيار لا يطيش، وفيما يلي أهم وأبرز مبادئ الحداثة :

#### أولا: الحرية المطلقة في التفكير والبحث والتعبير :

بالنظر فيما سجله الحداثيون في كتاباتهم المتعددة سواء في كتب أو مقالات، وفيما يثيرونه في مؤتمرات ومناظرات نجد منهم شبه إجماع على مبدأ "أنه لا حداثة بلا حرية". وإذا كانت قضية الحرية والتحرر من أساسيات حياة الإنسان، لا يعارضها دين، ولا يرفضها منطق، إلا أننا نجد الحرية لدى أهل الحداثة ذات مفهوم خاص، ودلالة معينة، وبالتالي نجد تخالفا كبيرا بين الحرية التي يقرها الدين ويعمل على إيجادها ويحارب ما يخالفها، وبين الحرية الحداثية .

#### الحرية عند أهل الحداثة :

يقول "سارتر" - وهو من آباء وكهنة الحرية - عن الحرية الحداثية : "إننا لا ندرك ذواتنا إلا من خلال اختياراتنا، وليست الحرية سوى كون اختياراتنا دائما غير مشروطة " ثم يضيف هذا الماحن : "أننا لا نفصل عن الأشياء سوى بالحرية، الإنسان هو وحده حامل الحرية في الكون، بلا حرية لا وجود للإنسان، وبلا الإنسان لا وجود للحرية"<sup>26</sup>

وهذا "كانت" ذلكم الفيلسوف الحداثي الكبير وهو "يحدد طبيعة وماهية عصر التنوير في القرن الثامن عشر، يبين أن عصر التنوير هو منظومة الوضعيات التي يحاول فيها الإنسان أن يحطم الأغلال التي وضعها هو نفسه في معصمه، إنها الحالة التي يسعى فيها الإنسان إلى تحطيم دائرة الوصاية التي تسبب فيها نفسه بنفسه، إنها في نهاية الأمر العملية التي حقق فيها لعقله التحرر من الوصاية التاريخية التي فرضت عليه من الخارج، هذا ويؤكد "كانت" أن شرط التنوير والحداثة هو الحرية، ومن بين الحريات يؤكد على هذه التي تتصل بحرية العقل وحرية التفكير، والجوهري في مقولاته أن العقل لا بد أن يتحرر من سلطة المقدس ورجال الكهنوت والكنيسة وأصنام العقل"<sup>27</sup>، وإذا كان هذا الكلام ولّدته بيئة غلبت فيها الكنيسة على العقول، وكبتت الحريات باسم الدين، فقد يكون كل ذلك مبررا لهؤلاء الغربيين أن يطالبوا بالتحرر من مثل هذا الهراء الذي

<sup>26</sup> - من مقال " بحث في الحرية " لكاتبه عبد الرحيم صالح ،أحد الحداثيين الليبيين من شبكة المعلومات العالمية الانترنت/ موقع

[www.aljabriabd.com](http://www.aljabriabd.com)

<sup>27</sup> - من / بحث مقاربات ص 11 مصدر سابق.

يعطل عقولهم ويضيع إنسانيتهم باسم الدين، لكننا نجد الحداثيين العرب يتجاهلون الفوارق بين البيئات والظروف والأديان، وينقلون نفس الفكر من بيئة إلى بيئة دون تمييز بين الأجواء، ودون نظر إلى خصوصيات الشعوب العقائدية والثقافية، فنجد محمد محفوظ أحد الحداثيين العرب يؤكد أن من خصائص الحداثة وأسسها: "الحرية الإنسانية، وتأكيد دور الإنسان الحر في مختلف ميادين المجتمع انطلاقاً من حقوق الإنسان، وتعزيزاً للقيم الديمقراطية"<sup>28</sup> ويرى حداثي آخر أن "الحرية — تأخذ مكانها المميز في صميم مفهوم الحداثة. فالحداثة هي حالة من المغامرة في عالم الضرورة والحتمية وهي من هذه الزاوية تتجلى في صورة إرادة إنسانية حرة تتحدى وتتقصى وتغامر لتصنع مصير الإنسان على مقياس إرادته وعلى أطراف أحلامه الإنسانية. وتمثل هذه الحرية في إرادة إنسانية تسعى لهدم عالم الوصاية وتدميره بمختلف تجلياته وحدوده ومرتسماته"<sup>29</sup>

هذه هي الحرية في مذهب الحداثيين، حرية مطلقة من كل قيد وإلا فلا حداثة، حرية التفكير في كل شيء، واقتحامه، والحكم عليه بسلطان العقل والفكر، وحرية التعبير عن كل شيء بأي عبارة، و، وحرية البحث في كل شيء وكل مجال بلا ضابط ولا حاجز، إنها الحرية غير المشروطة وإلا كيف تكون مدمرة؟

#### بين حريتين :

إن من الضروري في عالم الفكر تحرير المصطلحات ووضع الألفاظ إزاء المعاني دون تلاعب أو تحريف، وهنا لا بد لنا من القول : إن الحرية أمر شريف عظيم فلا ينبغي أن يخرج عن معناه الراقي إلى استغلالات حقيرة لتحقيق أوضاع عبثية لا أخلاقية.

أقول : إن الحرية قضية خطيرة لكن كما قالت مدام رولاند الفرنسية "لما رأت ما أقدمت عليه الثورة الفرنسية من انتهاكات باسم الحرية : "أيتها الحرية كم من الجرائم قد اقترفت باسمك !"<sup>30</sup>

لقد ارتكب الحداثيون جرائم عديدة باسم الحرية، فالعبث بالأخلاق والأديان والأعراف السليمة كان باسم الحرية، وانتهاك الحقوق تم باسم الحرية، وخروج الإنسان عن طبيعته وفطرته تم باسم الحرية، وما تتنادى به المؤتمرات العالمية من إلغاء الفوارق بين المرأة والرجل باسم الحرية وحقوق الإنسان، وإباحة الشذوذ الجنسي تم تحت ذلك الشعار إلى آخر ما يعرفه القاصي والداني، ولذلك لا بد لنا من وقفة يستبين بها وجه الحق ليعرف الحداثيون أنهم قالوا بهتاناً، وتلاعبوا بهذا المصطلح، فمن حقوق الإنسان إلى حقوق الطفل، إلى حقوق الأقليات، إلى حقوق المرأة، إلى كذا وكذا،

<sup>28</sup> - السابق ص 12 .

<sup>29</sup> - السابق 13 .

<sup>30</sup> - حوار عن بعد حول حقوق الإنسان في الإسلام - الشيخ/عبدالله بن الشيخ المحفوظ بن بيه - ص 52 - ط الأولى 2003 م - دار الأندلس الخضراء - السعودية.

فأين صاحب المقصد السليم من المغرض المفسد، وأين كلمة الله الحق وسط هذا العبث الفكري الذي ينادي به هؤلاء في بلاد الإسلام باسم الحرية؟ لا بد من البيان.

### الحرية في الإسلام:

جاء الإسلام بالحرية الحقيقية من قبل خالق الإنسان، قبل المواثيق الدولية بأربعة عشر قرناً من الزمان، نبين هنا طرفاً من هذه الحرية الشريفة المنضبطة ليظهر لنا الفرق بين الحرية في دين الله وحرية العبث الحدائثي .

الحرية هي: "الملكة الخاصة التي تميز الكائن الناطق عن غيره، وتمنحه السلطة في التصرف والأفعال، عن إرادة وروية ورضى، دون إجبار أو إكراه أو قسر خارجي، وذلك بإعمال العقل، والتفكير في الأسباب والنتائج والوسائل والغايات"<sup>31</sup>. الحرية إذا هي الوضع الطبيعي الذي خلق الله الإنسان عليه، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" ومن هنا جاء الإسلام يؤكد هذه الطبيعة التي خلق الإنسان عليها فكفل له جميع الحريات اللائقة به كإنسان ومن هذه الحريات :

### **1- حرية الاعتقاد :**

جاء القرآن الكريم يعلن من أول يوم حرية الاعتقاد، بدا هذا الأمر في مكّي القرآن ومدنيه على السواء ففي سورة يونس وهي مكية: "ولو شاء الله ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"<sup>32</sup> وفي سورة الكهف "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"<sup>33</sup>. ثم رأينا أن قضية حرية الاعتقاد ليست منسوخة، ولا هي شعار مرحلة فقط، إنما رأينا ذلك أصلاً أصيلاً دائماً بدوام الإسلام، ظهر هذا في القرآن المدني حيث الاقتراب من مرحلة استكمال البناء التشريعي، واستقرار كافة الأحكام، يقول تعالى في سورة البقرة قوله تعالى: "لا إكراه في الدين"<sup>34</sup>

لقد تأسس هذا المبدأ من أول يوم من أيام الإسلام دون أن يطالب به حزب، أو تقوم من أجله ثورة، أو يحدث في سبيله انقلاب، جاءت الحرية في منظومة الشرع جزءاً لا يتجزأ لإقرار كرامة الإنسان .

وخلاصة معنى حرية الاعتقاد: أن الإسلام لا يسمح بإكراه أحد على اعتناقه مع أنه الدين الحق، ولا يجبر من يؤمن بغيره أن يترك عقيدته مع كونها باطلاً محضاً.

31 - حقوق الإنسان محور المقاصد الشرعية لمجموعة من المؤلفين ص 75 - كتاب الأمة العدد (87)

32 - سورة يونس الآية 99 .

33 - سورة الكهف جزء من أية رقم (29).

34 - سورة البقرة جزء من أية رقم (256).



## ضابط و شرط في حرية الاعتقاد في الإسلام:

هذه الحرية حرية اختيار أو تختيار كامل عن قناعة لا إكراه معها بين الإسلام وغيره، فإذا وصل المرء بعد البلاغ المبين إلى اختيار الإسلام ديناً دون إكراه من أي نوع، ودخل هذا الدين وأصبح من أهله فإن الإسلام قبل ذلك وبعده يضبط المسألة ويعلن: أننا كما أعطيناك حرية الاختيار ولم نجبرك على الاعتقاد نقول لك إن الإسلام بعد اعتناقه ليس ألعبوبة في أيدي العابثين، ولا بضاعة تشتريها صباحاً وتردها في المساء، فإذا آمنت لزمك الوفاء بالعهد العقائدي والثبات عليه حتى الممات وإلا عرضت نفسك لعقوبة معلومة شديدة هي عقوبة الارتداد عن الدين .

أما الحداثيون فالحرية التي ينادون بها حرية مطلقة - كما زعموا - بمعنى أن الإنسان لا بأس - في فلسفتهم - أن يصبح مؤمناً ويغدو كافراً بدافع الحرية، وأن يتردد بين الأديان بدافع الحرية، وأن يفعل ما يشاء ويقول ما يشاء ويعبر عما يشاء بما شاء .

## 2- حرية التفكير :

وهذه من أعظم مزايا الإسلام حيث حرر العقل والفكر، ودعا إلى التأمل والنظر في الكون، وإننا نجد ألفاظ " العلم، والعقل، والتدبر، والفقه، وغير ذلك كثيراً في كتاب الله تعالى، وورودها يحمل دلالات كثيرة، فليس في الإسلام تقليد بلا دليل بدءاً من الإيمان بالله تعالى الذي هو أسمى عقائد الإسلام، حيث قام على البراهين والأدلة العقلية الصحيحة التي وافقتها الأدلة النقلية الصريحة، ثم رأينا القرآن يحارب الأساطير والأوهام، ويذم الظنون والتخرصات، ويطلب حتى من المخالفين التفكير وإعمال العقل: "قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة..."<sup>35</sup>، ويطلب كل صاحب ودعوى ببرهان على دعواه "قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"<sup>36</sup>. لقد بلغ شأن هذه الحرية الفكرية أن انفتح الإسلام على كل الثقافات، لكنه انفتاح انتقائي يقبل المفيد النافع من كل ثقافة وحضارة، ويرفض الضار، والقاعدة عندنا "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها"، والحرية الفكرية - كسابقتها - لم تنشأ بمطالبات بشرية، أو نتيجة تطور المجتمع، أو بعد بذل جهود بشرية لإقرارها إنما أنزلها الله تعالى في كتابه من أو ليوم نزل فيه التشريع، لقد كانت أولى كلمات الوحي المقدس "اقرأ باسم ربك الذي خلق"<sup>37</sup>

## 3- حرية الرأي والنقد والتعبير :

35 - سورة سبأ آية رقم (46).

36 - سورة النمل آية ( 64 ).

37 - سورة العلق آية (1).

يعلّمنا الإسلام أنه ليس لأحد أن يقول والجميع يتلقى دون تفكير أو تقليد للأمر، فليس عندنا عصمة مطلقة إلا لكلام الله تعالى، وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما سوى ذلك فكلام فيه الصواب والخطأ، نعمل فيه التفكير ونزنه بميزان العقل والمنطق والعلم، نعرف بصوابه ونرد خطأه، فنفكر ونكون رأياً ثم نعلن ما اعتقدناه صحيحاً متى كان ذلك وفق قواعد علمية ومنطقية سليمة، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وهذا من أعلى أنواع التعبير والنقد. إن من حق المؤمن أن ينكر ما يراه باطلاً متفقاً على بطلانه، بل إن ذلك من واجبه، ومن هذا الباب جعل الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل أنواع الاستشهاد استشهاد رجل قام في وجه سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله، ولا خير في أمة لا تقول للظالم يا ظالم، لأنها حينئذ لن تقول للمحسن أحسنت، أمتنا تتعلم من دينها كيف تحاسب نفسها وهذا من أرقى أنواع النقد الداخلي، ثم إن ديننا الحنيف يأبى أن تتحكم طغمة سفيهية في أنفاس الخلق وحركة عقولهم كما فعلت الكنيسة حتى باءت بانقلاب الناس عليها ومحاصرة دورها بين جدران أربعة، وفي ساعات وأيام معلومة، إن الأوروبيين لم يعرفوا الحرية المزعومة إلا من يوم أن خرجوا على تعاليم تلك الكنيسة البائسة، لكن ديننا جاء بحرية التعبير والنقد من مطلع ظهوره، وحارب في سبيل إقرار هذا المبدأ كل سلطان يعطل تلك الملكة التي وهبها الله تعالى للإنسان "ملكة العقل والتفكير". وفي الإسلام الحرية بمعناها الشامل فهناك حرية التملك، وحرية العمل ما دام في الحلال، وحرية الإنفاق، وحرية العمل... إلى غير ذلك من الحريات التي لا تقوم الحياة ولا تستقيم إلا بها. حرية بناء لا هدم:

الحرية في المنظور الإسلامي تخالف ما ينادي به الحداثيون من الحرية، فحرية الحداثيين هدم وتدمير لكل مقدس محترم، وكل مفيد بناء، لأنها انخلاع من القوانين والضوابط، وثورة على كل مقدس، وفعل لكل مرغوب دون نظر إلى حلال أو حرام، فمآل الأمر لحرية الحداثيين تحول الحياة إلى صورة حيوانية أو شبيهها، أما الإسلام فلن يكون الحرية المستقاة منه حرية بناء لا هدم، وتعمير لا تدمير فإنه ضبط ذلك بضوابط منها:

- 1- الحرية والمسئولية صنوان في الإسلام لا يفترقان، فإذا كانت الحرية من أعظم القيم الإسلامية، لكننا نجد الإسلام يحمل المرء المسئولية الكاملة عن تصرفاته ما دام بالغاً عاقلاً، وهذا لا شك يعلى من قيمة اختيارات الإنسان، ويرقى بمستوى عقلية في كل تصرف واختيار لأنه في النهاية مسئول، وقد تأملت ذلك في سورة الإنسان، ففي قوله تعالى: "إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً"<sup>38</sup> مفرق طريق أمام الإنسان من حيث إن له حرية الاختيار بين

38 - سورة الإنسان أية رقم (3).

الطريقين، لكنه بعد ذلك يبين عاقبة الاختيار ليكون المرء على مستوى هذه الحرية التي منحت له، فيجيب قوله تعالى يبين العواقب لكلا الاختيارين "أنا اعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرًا، إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورًا"<sup>39</sup>، وهنا لا ينبغي أبداً طرح إشكالية القضاء والقدر، ما دام الأمر واضحاً في حس الإنسان، فلا داعي لفتح هذا الباب أو الولوج في منحنياته.

2- حرية المرء تتوقف عند حرية الآخرين، فإذا كان الإنسان لا يعيش في هذا العالم وحده ولا يمكنه ذلك، فلا بد أن تتوقف حريته عند حرية الآخرين، فإنه عندما يمارس حرية مطلقة يعتدي حينها على غيره، ويمتد في فراغه، وهذا أعظم الظلم والفساد، ثم إنه لا تستقيم الحياة إلا بقانون ضابط يقيد الحركة بقيود المصلحة العامة، بل يقدم المصالح العامة على المصالح الخاصة، وهذا توقيف للحرية الفردية عند حدودها، ومن هنا نقول لأولئك العابثين من الحداثيين إنه ليست هنا في الدنيا حرية مطلقة من كل قيد كما يتشدقون بذلك خداعاً للجماهير وإشعاراً لهم أنهم جاءوا بنظرية فيها إنقاذ الناس وتحريرهم، إنه بأدنى تأمل نستطيع أن نجزم أنه لا بد من التزام بقانون ما مهما ادعى الإنسان الحرية، وإلا لفسدت الحياة وصارت فوضى كفوضى الحيوانات في الغابة.

3- مجال حرية العقل عالم الشهادة لا عالم الغيب، وأن العقل لا يسير إلا حيث يسيره الشرع، فإنه على الرغم من المكانة التي أعطاها الإسلام للعقل، إلا أنه حدد له مجال عمله اللائق به احتراماً له، وحفاظاً على سلامته، فمجال عمل العقل الحقيقي هو عالم الشهادة فله أن يبتكر وأن يبدع ليعمر هذه الأرض، وتلك هي رسالة الإنسان، وحينما يتجاوز المرء بعقله هذا العالم المشهود إلى عالم الغيب فإنه بذلك قد تقهّم عالماً فوق الإدراك وحينئذ ييؤ بضلال في النتيجة، وفشل في أمور الدنيا التي هي محل عمله وشغله، يبين الإمام الشاطبي - رحمه الله - أن الإسلام: "جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان، وما يكون، وما لا يكون، إذ لو كان كيف يكون؟ فمعلومات الله لا تتناهى، ومعلومات العبد متناهية، والمتناهي لا يساوي ما لا يتناهى"<sup>40</sup> وفي موضع آخر يقول "فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل"<sup>41</sup>، ومن هنا يظهر ضلال الحداثيين الذين يجعلون العقلانية أساس مذهبهم، ويتخذون العقل إلهاً يعبد من دون الله، فما لا يدخل

39 - سورة الإنسان آيات رقم (4-5).

40 - الاعتصام للإمام الشاطبي ص 486 تقديم / محمد رشيد رضا - ط الأولى - مكتبة المعارف.

41 - الموافقات للشاطبي (1/6) ط الأولى - مؤسسة الرسالة - تحقيق الشيخ / عبد الله دار - وتخرّج الأحاديث د/ محمد عبد الله دراز.

تحت حكم العقل بحكم مذهبهم يرفض ويكفر به، نقول لهم متى كان العقل مستقلا بإدراك مصالحه من كل وجه ؟ وما فائدة إرسال الرسل وإنزال الكتب إذا كان العقل بهذه الدرجة التي يزعمون ؟ يقول الشاطبي، - وأنا هنا أستشهد بأقواله بالذات لأنهم يستغلون كلام الشاطبي في المقاصد ليبرروا به انفلاتهم من قيود الشرع تحت شعار المقاصد فهلا أخذوا كلام الرجل كاملا - يقول - رحمه الله- " وقد علمت - أيها الناظر - أن ليس كل ما يقضي به العقل يكون حقا " ثم يستدل على ذلك بالمشاهد والواقع من أمر بعض الناس فيقول "ولذلك تراهم - أي : أهل التحسين والتقبيح العقليين - يرتضون اليوم مذهباً ويرجعون عنه غداً، ثم يصيرون إلى رأي ثالث !! ولو كان كل ما يقضي به حقا لكفى في إصلاح معاش الناس ومعادهم،، ولم يكن لبعثة الرسل عليهم السلام فائدة"<sup>42</sup>

4- الحرية مقيدة بنصوص الوحي الكريم، وهذا أمر من البدهة. بمكان مكين، فالمرء ليس إلها بل هو عبد مأمور، والقول بحرية مطلقة رفع للإنسان عن مرتبته التي وضعه الله تعالى فيها كعبد إلى مرتبة ليست له مطلقا، ومن هنا فالعبد إذا أراد الحرية الحقيقية فإن ذلك لا يكون إلا في قمة العبودية لله تعالى "فقمة الحرية في قمة العبودية" كما يقول أهل التصوف . ومن هنا فالمسلم الفرد والأمة التي ارتضت الإسلام ديناً، والقرآن شرعة ومنهاجا لا يمكن بحال من الأحوال أن تنسى وحي ربها وتنجر ف وراء نداءات الحداثيين الذين يتشدقون بشعار الحرية، لا يمكن للأمة أن تتجاوز ثوابت وقطعيات دينها الذي هو روحها، إلى تلك الترهات الحداثية الضالة المضللة، إن الأمة والحمد لله ترفض هذا العبث الفكري، لأنها تعلن كل يوم " لا إله إلا الله محمد رسول الله " إعلاناً يزلزل أركان الفكر والضلال الحداثي، فأمتنا حرة لكنها في حريتها متمسكة بنصوص الوحي ومقيدة بحدود الدين، "ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه"<sup>43</sup>، إننا على علم أن الحداثيين من خبثهم وإيهامهم وشدة تلبسهم على الجماهير سيخوفونهم من الإسلام ومن الإسلاميين، حيث يصورون الحياة الإسلامية الملتزمة أنها حياة مكبلة بالقيود، محاطة بحدود وأحكام لا يرى المرء معها حرية ولا تحرراً، ويعدون الناس بحياة الحرية الحقيقية، ويخدعونهم بانطلاقة لا ضوابط معها ولا مسئولية، وهذا هو الضلال والتضليل، وبل وقمة التخويف من دين الله تعالى، لكننا نقول لن يفلح هذا الفكر، ولن يلقي رواجاً بإذن الله بين المسلمين، فالأمة رغم ضعفها محبة لربها، راضية بدينه، متبعة لرسوله، عما قريب سينقشع غمام هؤلاء الحداثيين، وستدرك الأمة عدوها من صديقها . هذه أهم ضوابط الحرية في نظر الإسلام كما رأيتها والله تعالى أعلم .

42 - الاعتصام (490).

43 - سورة الطلاق، آية (1).

## ثانيا : العقلانية

وتلك أكذوبة أخرى من أكاذيب الحداثيين، حيث صوروا وتصوروا في نظريتهم أن الحديث ضد القديم، فأخذوا الحديث وعادوا القديم، وصوروا وتصوروا أن النقل ضد العقل فساروا مع العقل وحاربوا النقل، بل وصور بعضهم الإنسان بأنه ضد الإله فأخذوا الإنسان وحاربوا الإله .

العقلانية التي هي محل حديثنا هنا في هذا المبدأ أمر مصرح به على ألسنة أهل الحداثة كأساس لنظريتهم، يعرض أحد الحداثيين العرب بعض فكر الحداثة وأسسها عند أحد فلاسفة الحداثة الغربيين فيقول : " تعد العقلانية مبتدأ الحداثة وخبرها ولا توجد حداثة من غير أساس عقلائي كما يؤكد آلان تورين A.Tourain . والحداثة كما يرى تورين هي عملية انتشار المنتجات العقلية والعلمية والتكنولوجية وهي بالتالي حالة رفض للتصورات القديمة التي تقوم على أساس ديني طوباوي وتمثل في الوقت ذاته حالة قطيعة مع الغائية الدينية التقليدية، إنها انتصار للعقل في مختلف مجالات الحياة والوجود، في مجال العلم والحياة الاجتماعية، وغاية الحداثة هي بناء مجتمع عقلائي. وهذا يعني أن الحداثة هي حالة ولادة جديدة لعالم يحكمه العقل وتسوده العقلانية. وبعبارة أخرى الحداثة وضعية اجتماعية وحضارية تجعل من العقل والعقلانية المبدأ الأساسي الذي يعتمد في مجال الحياة الشخصية والاجتماعية. وهذا يقتضي وجود حالة رفض لجميع العقائد والتصورات وأشكال التنظيم الاجتماعي التي لا تستند إلى أسس عقلية أو علمية. وهذا هو التصور الذي اعتمدته فلسفة التنوير في القرن الثامن عشر والتي نادى بوجود الإنسان على أساس التوافق مع العقل والعقلانية، وذلك سعيا إلى تحرير الإنسان من العبودية والظلم ومن المخاوف الأسطورية والجهل والعبودية والتسلط وقد اتجهت هذه الحركة إلى إزالة العقبات التي تقف في وجه المعرفة العلمية.

وتأخذ الحداثة ملامحها الأساسية في الفلسفة الوضعية **positivisme La** التي أحدثت نوعا من القطيعة مع التصورات الأبوية والكنسية التقليدية مؤكدة أهمية المعرفة العلمية والعقلانية في شتى مناحي الحياة الاجتماعية واتجاهاتها. وفي هذا السياق تبدى الحداثة أيضا في عطاءات المنهج العلمي التجريبي الذي أخذ هيئة العقلانية الأداتية التي اتسمت بالموضوعية والتماسك والتي بدأت تسجل حضورها العارم في مختلف مجالات المعرفة العلمية بفروعها المختلفة<sup>44</sup>. وكنت أحسب أن هذه التعبيرات عن العقلانية وأنها أساس الحياة، وأن الدين محكوم عليه بهيمنة العقل، كنت أحسب ذلك عند أهل الغرب فقط، لكننا وجدنا الترجمة شبه حرفية عند أولئك الحداثيين الأقزام من العرب فهذا "محمد محفوظ" يجعل الحداثة تستند إلى عدة خصائص منها " — العقلانية حيث يتجلى العقل بسيادته وهيمته في مختلف جوانب الوجود الاجتماعي والسياسي تحليلا لمبادئ التنوير وقيمته "<sup>45</sup> ويرى

44 - من بحث / مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة ص 15 - 16

45 - السابق 12

"قسطنطين زريق" أن الحداثة تنطلق من عدة مواقف منها : " الإيمان بأن العقل هو مصدر تفوق الإنسان وتفرد في مملكة الكائنات الحية، ومن ثم الإيمان بأن الإنسان يستطيع عبر هذا العقل أن يطور العلوم والمعارف باتجاه السيطرة على الوجود والمصير"<sup>46</sup>.

هذه بعض أقوال الحداثيين حول كون العقلانية أساسا من أسس الحداثة، وواضح عند التحليل أن الدين قضية ذات حساسية شديدة لدى هؤلاء فهو في نظرهم مناقض للحرية والعقل معا، بينما العلمانية هي العقلانية والحرية معا .

#### ثالثا : الانفلات من التراث والانقلاب عليه

التراث الإسلامي هو : " نتاج العقل البشري المسلم عبر القرون "<sup>47</sup> وقانون الآثار المصرية المعمول به الآن يحدد مائة سنة سابقة عن الآن حتى نعتبر الشيء في عالم الأشياء أثرا "<sup>48</sup>، والتراث الذي هو نتاج العقل المسلم في كل الفنون والعلوم إنما كان بقصد خدمة النص ( القرآن والسنة ) بكل ما اشتملت عليه هذه الخدمة من معان ومقاصد، وقد جعل " المسلمون النص محورا لحضارتهم، ومحور الحضارة معناه : أنهم جعلوه معيارا للتقويم، وجعلوه منطلقا للخدمة، وجعلوه مرجعا يرجعون إليه، ولذلك نجد أنهم قد ولدوا علوما كثيرة كعلم الفقه وعلم الأصول وعلم النحو وعلم الصرف وعلم الوضع وعلم البلاغة، وهكذا يريدون بهذه العلوم أن يخدموا النص"<sup>49</sup> فالتراث إذا نتاج عقل مسلم ينطلق من النص ويعود إليه، فليس ذلك العقل عابثا أو ماجنا وإنما هو عقل جاد منضبط هادف، بل كان من جديته وانضباطه وإبداعه أنه عقل عرف التخصص واحترمه وعرف المشاركين في العلوم، فكان في تراجم علمائنا أن فلانا برع في كذا وكذا من الفنون، وهو مشارك في كذا، أي لم يكن على نفس درجة إتقان البارِع المتفنن، وهكذا تميز ذلك العقل الذي أنتج التراث بما يلي :

1- أنه عقل منطلق من الوحي، خادِم له.

2- الجدية والانضباط والهادفية .

46 - السابق 14.

47 - المدخل د / علي جمعة محمد ص 9 ط الأولى - 1996م - المعهد العالمي للفكر الإسلامي

48 السابق ص 9.

49 - السابق ص (10) لعل من المفيد سوق تعريف لكل علم من هذه العلوم ، لكن لشهرتها أحسب أن طلاب العلم في غنى عن هذه التعريفات خاصة للعلوم المتداولة ، عدا علم الوضع فيما أحسب ، فإنه لم يعد علما متداولاً اليوم للأسف الشديد ، ولذا سأعرف به هنا .

الوضع في الاصطلاح : هو تعيين اللفظ بإزاء المعنى ، بحيث يفهم منه هذا المعنى عند العلم بذلك التعيين ، هذا هو الوضع ، أما علم الوضع : فهو علم يبحث عن أحوال اللفظ العربي من حيث ما يعرف به شخصية الوضع ونوعيته . ينظر / خلاصة علم الوضع للشيخ العلامة يوسف الدجوي ص (3) وهذه الرسالة عرضت على لجنة فحص الكتب بالأزهر الشريف فوافقت عليه في فبراير سنة 1920م - مكتبة القاهرة - بالقاهرة - بدون.

3- احترام التخصص وعدم اقتحام تخصص الغير .

4- الاجتهاد والإبداع فيما من شأنه أن يعمل العقل فيه .

هذه أبرز صفات ومميزات العقل المسلم الذي أنتج التراث، وهذا التراث الإسلامي بكل فنونه وعلومه " هو روح الأمة التي تسري في كيانها عبر العصور والأجيال، إنه الدعامة الأساسية والركيزة الثابتة التي تميز ملامح الأمة عن سواها، وهو الذي يمدّها بالاعتزاز والفخر، ويزودها بالكبرياء الذي يعينها على تجاوز الصعاب، وتخطي العقبات، ويعطيها القوة والطاقة التي تزيد من سرعة خطاها، وتثبت أقدامها على طريق التقدم والانطلاق والرقى الحضاري"<sup>50</sup>.

هذا التراث على أهميته التي ذكرنا، وبيننا كيف نتج، ومن أنتجه، ولماذا أنتج، وما محوره، مع كل هذا يرى الحداثيون فيه غير ما نرى، فهم يرون التراث والعقلية التراثية، بل والعودة إلى التراث مبعث انحطاط وتخلّف، فلا بد إذا من الانفلات من هذا القيد، بل لا يكفي هذا، لابد من الانقلاب عليه ومحاربتة، يرى زكي نجيب محمود "أن تراثنا لا يشكل مصدر الثقافة العلمية المطلوبة، حيث يتوجب علينا أن نبحث عن قيم هذه الثقافة ومعاييرها في ثقافة الغرب المعاصرة وفي حضارته، ويجب أن ننهل منها ما استطعنا إليها سبيلاً"<sup>51</sup> ويقول كمال أبو أديب: "الحداثة انقطاع معرفي ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية التراثية، في كتب ابن خلدون الأربعة، أو في اللغة المؤسساتية والفكر الديني، وكون الفن محاكاة للعالم الخارجي، الحداثة انقطاع، لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر، والفكر العلماني"<sup>52</sup>، وفي مقال للحداثي جواد طعمة بعنوان "الشاعر العربي المعاصر ومفهومه النظري للحداثة" يحدد فيه خصائص الحداثة فيقول: "إن الحداثة الغربية في جوهرها، تعكس معارضة جدلية ثلاثية الأبعاد: معارضة التراث، ومعارضة للثقافة البرجوازية بمبادئها العقلانية والنفعية"<sup>53</sup>، ويفرق ناصيف نصار بين الحداثة التي هي مذهبه وبين التقليد الذي هو اتباع المنهج الإسلامي والتراث الإسلامي فيقول "الحداثة هي المفهوم الدال على التجديد والنشاط الإبداعي .... إلى أن يقول: وتحدد الحداثة في هذا المعنى بعلاقتها التناقضية مع ما يسمى بالتقليد أو التراث أو الماضي، فالحداثة خروج عن التقاليد وحالة تجديد"<sup>54</sup>

50 - مجلة جذور ص 464 مجلة فصلية تعنى بالتراث وقضاياها من مقال الأستاذ الهادي الرزيني بعنوان (تراثنا العربي وأبعاده) عدد محرم 1424هـ - مارس 2003 م.

51 - "مقاربات بين مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة ص(9) .

52 - تقوم نظرية الحداثة ص 39 مصدر سابق .

53 - السابق ص (41) .

54 - مقاربات، ص (3) - سابق

هذه بعض نماذج من أقوال هذه الشريعة والتي يمكن القول إنهم في الجملة مجمعون على هذا المبدأ  
تصريحا أو تلميحاً، وهنا لابد من تنبيه ألا وهو أن التراث في استعمال هؤلاء تعبير خبيث  
يقصدون به كل ما هو غير حديث وعلى رأس ما يقصدون القرآن والسنة ابتداءً لكنهم  
يستعملون لفظ التراث من باب تخفيف الوطأة على الجمهور المسلم الذي يحاولون تغريبه، والذي  
لا يمكن أن يتحمل فكرهم لو صرحوا بها، فالقرآن في نظرهم كلام أو ظاهرة ليست فوق النقد،  
فليس له من القداسة ولا الاحترام ما يجعله معصوماً في نظرهم على ما سنبين بعد قليل، إن الثورة  
على التراث بكل مكوناته يسمونها أسماء عديدة تزيد في اللبس والتعمية مثل مصطلح "التفكير،  
والنقد، والبحث وغير ذلك، وسنسوق هنا مثالا لواحد من شياطين الحداثة وأربابها كنموذج  
يبين لنا موقف الحداثيين من التراث .

#### محمد أراكون والتراث ((نموذج حداثي تجاه التراث )):

أراكون اسم لامع في سماء أهل الحداثة، بل في الفضاء العلماني عموماً، ويظهر أراكون في هذه  
الفضاءات تحت عنوان كبير لافت، تظهره مؤلفاته العديدة، على أنه مشروع يرمي إلى " إعادة  
كتابة جديدة لكل تاريخ الفكر الإسلامي والفكر العربي " على حسب قوله، مشروع نقدي  
يطوف به أراكون الجامعات الغربية محاضراً ومتحدثاً، وفي الناحية الأخرى تصدر كتاباته إلى  
البلدان العربية والإسلامية لينفث سموه في كل مكان .

#### أراكون والقرآن الكريم:

لقد أخذ القرآن الكريم - باعتباره جزءاً من التراث - نصيباً موفوراً من اهتمامات أراكون  
الفكرية والنقدية يظهر ذلك من كتبه العديدة، ولم يكن هذا الاهتمام من أراكون بالكتاب دفاعاً  
عنه ولا إظهاراً لإعجازه المبهر، ولا دعوة إلى نظامه وأحكامه، إنما كان تشكيكاً في صلاحية  
وثبوت، وزعزعة لإيمان المؤمنين به، وصداً للمقبلين عليه، وإثارة لغبار حسب أراكون أنه كفيل  
بإيقاف مسيرة الكتاب، وتعطيل عمله في الحياة وهيئات هيئات، فأمره كما قال الشاعر :

ما ضرَّ بحرَ الفرات يوماً أن خاض بعض الكلاب فيه .

ولست فيما أقول زاعماً ولا متجنياً، إنما أقواله الواضحة الصريحة هي التي تدل على ما نقول كما  
يظهر ذلك في النقاط التالية :

- 1- أراكون يشكك في القرآن بالتشكيك في مسألة " جمع القرآن " ويرى أن إجماع الأمة على  
صحة القرآن أمر يحتاج إلى مراجعة ونقد، وما قصة جمع القرآن إلى أسطورة مكذوبة  
ينبغي مراجعتها وهذا قوله تحت عنوان ( النص القرآني كيفية جمعه وإعادة قراءته ) :  
عندما ينقل محمد سورة قرآنية فإنه حينئذ ليس إلا أداة بحتة للتوصيل والنقل دون أي  
تدخل شخصي، إنه فقط يتلفظ بكلام الله، وهو إذن الناطق بكلام الله في اللغة العربية،



كان هناك شهود وصحابة يحيطون به أثناء ذلك، وقد حفظوا عن ظهر قلب السور واحدة بعد الأخرى . يطيب للتراث المنقول أن يذكر أنه في حالات معينة فإن بعض السور كان قد سجل كتابة فورا على جلود الحيوانات وأوراق النخيل أو العظام المسطحة، الخ.. واستمر هذا العمل عشرين عاما .

كان طبيعيا، بعد وفاة النبي، أن تطرح مسألة جمع هذه السور في كل متكامل . ذلك أن زمن الفتح قد ابتدأ وأصبح الصحابة يتبعثرون في الأمصار، فكر الخليفة الأول أبو بكر بتجميع أكبر عدد من السور وكتابتها من أجل حفظها، وتم بذلك تشكيل أول مصحف ( مصحف في حالته البدائية) وقد وضع هذا المصحف عند عائشة بنت أبي بكر وزوجة النبي . هذه السور القرآنية سوف تستخدم مباشرة بصيغ جدالية هدفها الصراع على السلطة السياسية . هذا ما يمكن أن نستشفه من التراث المنقول على الرغم من الرقابة الصارمة التي أحيط بها هذا التراث.

راح الخليفة عثمان ( أحد أعضاء العائلة المعادية لعائلة النبي) يتخذ قرارا نهائيا بتجميع مختلف الأجزاء المكتوبة سابقا والشهادات الشفهية التي أمكن التقاطها من أفواه الصحابة الأول، أدى هذا التجميع عام 656 م إلى تشكيل نص متكامل فرض نهائيا بصفته المصحف الحقيقي لكل كلام الله كما قد أوحى إلى محمد، ورفض الخلفاء اللاحقون كل الشهادات الأخرى التي تريد تأكيد نفسها ( مصداقيتها ) مما أدى الى استحالة أي تعديل ممكن للنص المشكل في ظل عثمان. هذه هي رواية التراث، وهذه الرواية التي تمثل اليوم الموقف الإسلامي العام والتي لها قوة المسلمة التي لا تناقش ولا تمس، لنعد صياغة هذه الرواية مرة أخرى : كل كلام الله الموحى به إلى محمد كان قد نقل بصدق وإخلاص كامل ثم حفظ كتابة في المصحف المشكل زمن عثمان أي خمسة وعشرين عاما بعد وفاة النبي .

هذه هي المقولة الرسمية التي لا يسمح لأحد من البشر أن يوجه إليها أدنى ذرة من الشك، وليس المسلمون بحاجة إلى جهاز ديني أعلى للحفاظ على هذه المقولة، وإنما يكفي أن يتمثلها الوعي الجماعي الجبار ويكفيها هذا الإجماع (إجماع الأمة ) المتشكل خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام لكي تصبح حقيقة مطلقة، فهذا الإجماع - إجماع الأمة سنة وشيعة - قوي لدرجة أن من يتصدى له فسوف يعرض نفسه لعقاب الجسد الاجتماعي بأسره، هنا تكمن المشكلة القصوى، هنا الأمر العظيم المحير، إن المسألة ليست مسألة حرية أو ديمائية خاصة بالإسلام كإسلام، أبدا أبدا، وإنما هي مشكلة كيفية اشتغال آلية مجتمع بأسره . وحتى القادة السياسيون لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا على فرض أنهم يعون المسألة، لأنهم إذا ما تعرضوا بالشك لهذه

المقولات المطلقة فسوف ينالهم عقاب الجمهور مهما تكن رتبهم القيادية"<sup>55</sup> هذا النص من كلام أراكون نقلته على طوله لبيان خطورة هذا الفكر الضال الذي يعتدي على الثوابت والقطعيات، فأنت تراه يقطر سما وحقدا وشكا على كتاب الله العظيم الذي هو روح الأمة وحياتها، ولا يخفى على القارئ الحصيف ما في هذا الكلام من المغالطات وما عليه من الملاحظات فأراكون - هده الله - ابتداء يتكلم بسوء أدب عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين، فهو لا يصلى على الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يترضى عن أصحابه الكرام، وهذا وإن كان أمرا هاما لكنه ليس محل النظر في كلام أراكون، المهم هي مجموعة الأكاذيب والأغاليط والتمويهات التي يحملها الكلام منها :

أ- الزعم بأن الصحابة استخدموا القرآن بصيغ جدالية هدفها الصراع على السلطة السياسية، ولا أدري من أين أتى أراكون بهذا الكذب؟ ومتى؟ وأين؟ وكيف؟ هو يزعم أنه استشف ذلك من تراث منقول عليه رقابة شديدة مضروبة، فهل اطلع هذا الضال على تراث آخر غير ما اطلعت عليه الأمة، إن تراثنا متداول مطبوع ومخطوط بلا رقابة ولا كهنوت، فمن أين استشف هذا العبقرى هذا الهراء والافتراء؟

ب- الزعم بأن الخلفاء اللاحقين بعد عثمان رضي الله عنه رفضوا آراء أخرى حاولت إحداث تعديلات جديدة وممكنة في القرآن الذي جمعه عثمان، والزعم بأن هذه المطالب كانت مطالب ذات مصداقية، وكان ينبغي عدم رفضها.

ت- محاولة ضرب وتسفيه إجماع الأمة على صحة كتابها وموثوقيته، وأن هذا الإجماع ليس له ما يبرره ولكنه سيف مرفوع من المسلمين لإرهاب أي رأي جديد حول القرآن حتى ولو كان هذا الرأي من القادة السياسيين ذوي السلطان، ويزعم أن هذه اللغة الواحدة الكائنة في المجتمع الإسلامي كبتت كل رأي متحرر حتى غدا المثقفون يمارسون الرقابة على أنفسهم ويمتنعون عن الخوض في هذه المسائل الحساسة .

ثم يوجه أراكون طعنة أخرى إلى القرآن عندما يعتبر هذا الكتاب الكريم كلاما قابلا للنقد، بل لا بد وأن ينقد، وأول النقد النظر في تاريخ جمع القرآن وإعادة النظر في سنده فيقول: "لنذكر الآن المهمة العاجلة التي تتطلبها أية مراجعة نقدية للنص القرآني، ينبغي أولا إعادة كتابة قصة تشكل هذا النص بشكل جديد كليا، أي نقد القصة الرسمية للتشكيل التي رسخها التراث المنقول نقدا جذريا، هذا يتطلب منا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية التي أتيح لها أن تصلنا سواء كانت ذات أصل شيعي أم خارجي أم سني، هكذا نتجنب كل حذف تيولوجي لطرف ضد آخر،

المهم عندئذ هو التأكد من صحة الوثائق المستخدمة، بعدها نواجه ليس قط مسألة إعادة قراءة هذه الوثائق، وإنما أيضا محاولة البحث عن وثائق أخرى ممكنة الوجود كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخرا، يفيدنا في ذلك سير المكتبات الخاصة عند دروز سوريا<sup>56</sup> أو إسماعيلية الهند<sup>57</sup> أو زيدية اليمن<sup>58</sup> أو علوية المغرب<sup>59</sup>، يوجد هناك في هذه المكتبات القصية ووثائق نائمة متمنعة مقفل عليها بالرتاج، الشيء الوحيد الذي يعزينا في عدم إمكانية الوصول إليها الآن هو معرفتنا بأنها محروسة جيدا، هكذا نجد أنفسنا أمام عمل ضخيم من البحث وتحقيق النصوص الذي يتبعه فيما بعد - وكما حدث للأناجيل والتوراة - إعادة سيميائية للنص القرآني ... إلى أن يقول : إن قراءة كهذه للقرآن تبدى اليوم عملا شديدا الأهمية، ولكن للأسف فإنه ينقصنا العدد الكافي من العمال الباحثين<sup>60</sup>

هذا الكلام في منتهى الخطورة فأراكون يظهر أنه حتى اليوم مازال متشككا في القرآن، ولذا فإنه لا بد أن يجري عملية نقد وبحث في سند القرآن ليعلم: هل القرآن حقا هو ذاك الذي بين أيدينا؟ أم أن هناك نصوصا مفقودة أو موضوعة من قبل البشر ستظهرها لنا ووثائق من هنا ومن هناك، حتى ولو كانت تلك الوثائق من وضع أناس كافرين بالقرآن حاقدين على الإسلام كالإسماعيلية والدروز.

ثم إننا نسأل هذا الملحد الضال من الذي ندبه لهذه المهمة التي يقول عنها إنها "تبدى عملا شديدا الأهمية" هل ظلت الأمة في عماية وضلال أربعة عشر قرنا من الزمان حتى جاءها هذا الكفور ليرشد عقلها، وينير طريقها؟ إنه يضع القرآن المحفوظ مع الكتب المحرفة التي هي لدى اليهود

---

56 - الدروز طائفة فرقة باطنية تؤله الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشكين الدرزي. نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام. عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين. انظر / الموسوعة الميسرة (400/1).

57 - الإسماعيلية هي فرقة باطنية، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة، وقد مالت إلى الغلو الشديد لدرجة أن الشيعة الاثني عشرية يكفرون أعضائها. انظر / الموسوعة الميسرة (386/1).

58 - الزيدية هي إحدى فرق الشيعة، نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين الذي صاغ نظرية شيعية في السياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة ومن مذهبهم جواز إمامة المفضل مع وجود الأفضل. انظر / الموسوعة الميسرة (81/1).

59 - العلوية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهياً في علي وأهلوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العلويين تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرفضية والباطنية. انظر / الموسوعة الميسرة (393/1).

60 - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص 290 - 291.

والنصارى في سلة واحدة، وكأن أراكون بذلك يقدم خدمة لليهود والنصارى، إذ أنه يبرر ما وجه إلى كتبهم من نقد، حيث يصير الجميع سواء إذا ما تم مثل الذي ينادي به هذا الأراكون .  
أراكون وفكرة تخنيط القرآن :

ويرى أراكون في موضع آخر أن القرآن ما هو إلا فكرة تسكن العقل وتحول في الخواطر وتغذي التأمل والخيال باعتبارها مجازاً لا حقيقة لها يعبر عن ذلك بقوله: "إن القرآن كما الأناجيل ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانوناً واضحاً، وأما الوهم الكبير فهو في اعتقاد الناس - اعتقاد الملايين - بإمكانية تحويل هذه التعبيرات المجازية إلى قانون شغال وفعال ومبادئ محددة تطبق على كل الحالات وفي كل الظروف<sup>61</sup>، هذه الجهالات الأراكونية تناسي بها صاحبها أن القرآن عمل في واقع البشرية أربعة عشر قرناً ما ضاق بجديد، ولا توقف عطاؤه في مرحلة، ولا ادعى أحد أنه مجموعة مجازات لا يمكن أن تطبق، وليسأل أراكون التاريخ: بأي منهج كانت تعيش الأمة

طيلة هذه القرون المديدة، ومن أين استقت هذا المنهج ؟ بل ليسأل الأقليات غير المسلمة من يهود ونصارى الذين عاشوا تحت ظلال الحكم الإسلامي أي منهج نعموا فيه بالعدل ؟ وأي دين أنقذهم من ظلم الطغاة ورد إليهم حقوقهم إلا هذا القرآن بتشريعاته الربانية ؟. الأمر عند أراكون ما هو إلا ترديد لكلام المستشرقين، مغالطة، وافتراء، وتشديق باسم النقد والتجديد، أما الاعتماد على الحقائق التاريخية والعقلية والشرعية فهذا أبعد ما يكون عنه أراكون، إن هذا الافتراء الأراكوني معناه الوصول بالقرآن إلى كتاب مخطط يوضع في المتاحف ليكون ذكرى، وغاية عمله - إن عمل - أن يغذي الذهن والخيال.

ولسنا بصدد الرد التاريخي المفصل على مثل هذه الترهات، ولكن المقام مقام إبراز موقف أهل الحداثة من التراث ومنه في نظرهم القرآن الكريم .  
وإذا قرر أراكون أن القرآن لا يمكن أن يتحول إلى واقع يحكم الناس، ويصوغ حياتهم بقانونه الحكيم فإنه بناء على ذلك يتعجب من اعتقاد المسلمين عبر تاريخهم أنهم يسرون وفق منهج رباني فيقول: "السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو التالي :

كيف حصل أن اقتنع ملايين البشر أن الشريعة ذات أصل إلهي ؟ "62 هذا هو بعض ما نفتته أراكون من سموم حول القرآن .

أراكون والسنة المطهرة :

61 - السابق 299 .

62 - السابق 296 .

أما السنة فحدث ولا حرج عن موقفه منها، فتشكيك في رجالها وأسانيدها بدءاً من الرواة الأول الذين هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسيرا إلى كل مُحدث، لقد حشر أراكون نفسه في هذا الخضم الهائل، والبحر المتلاطم، ونصب نفسه حكماً على هذا التاريخ العريق للحديث وعلومه، يقول أراكون: "إنه من الغريب أن نلاحظ أن الفكر الإسلامي قد بقي حتى اليوم يعيش على أفكار ابن حجر (مات 852هـ/1449م) وأسلافه بخصوص موضوع الصحابة، هذا على الرغم من أن هؤلاء يحتلون موقعا مفتاحيا وأساسيا فيما يتعلق بنقل النصوص المؤسسة للإسلام ولكل تراثه، ولكننا نلاحظ أن تراجم كتاب الرجال لابن حجر تصور لنا شخصيات مثالية ترتفع بالمخيال الإسلامي الشائع وتجيّش وتتكبر (= تقنّع، وتحجب) في ذات الوقت الحقيقة التاريخية المتعلقة بكل شخصية من الشخصيات المترجم لها، لقد آن الأوان لكي نفتح هذه الإضبارة الشائكة على مصراعها (كلياً) إننا لا نستطيع أن نكتفي بمفهوم "العدالة" الذي بلوره المحدثون (أصحاب الحديث) وإنما ينبغي إعادة تفحص كل "الإسنادات" ليس فقط عن طريق تطبيق المنهجية الوضعية للمؤرخ الحديث الذي لا يهتم إلا بالمعطيات والأحداث التي يمكن تحديدها بدقة ويرمى كل ما عداها في ساحة المزيج المعقد الغامض للخرافات والأساطير الشعبية، وإنما نريد على العكس، أن نبين كيف أن العناصر الأسطورية الزائدة المضافة على سير الصحابة من أجل تشكيل شخصيات نموذجية مقدسة كانت قد دعمت "حقيقة" المعلومات التأسيسية المكونة لكل التراث الإسلامي بشكل أقوى مما فعلته المعطيات والأحداث التاريخية الواقعية التي حصلت بالفعل"<sup>63</sup>. إن محصلة هذا الكلام أن التاريخ الإسلامي بما فيه من شخصيات بدءاً من الصحابة الكرام، ثم التابعين ومن تبعهم تاريخ مزور ملفق من وقائع حقيقية وخيالات لعبت دوراً في نسج أحداثه، أما الشخصيات فإن المخيال - على حد قوله - ويقصد به الخيال أو الأسطورة لعبت دوراً كبيراً في نسج حياتهم التي بدت مثالية بالنسبة لعالم البشر، ونتاج هذا الخيال هو الذي حجب حقيقة الصحابة وقنّع صورتهم الحقيقية وأظهرهم في صورة العدول، الأمر الذي يمثل زيادة على الحقيقة، هذا ما ينبغي كشفه، وهذا يتطلب على رأي أراكون نبذ كل هذه الزيادات التي أنتجها المخيال ليظهر الصحابة، ثم أهل الحديث بعدهم بصورتهم الحقيقية التي تنتفي فيها فكرة العدالة التي بلورها المحدثون، بل ادعوها للصحابة .

بهذه الفكرة الأراكونية الحدائية تنهدم السنة، ولا يوثق بأي شيء فيها، لأن رواها في -نظره- جماعة من الكذابين والشهوانيين المقنعين والمحجوبين خلف ستار منسوج ملفق مدعى اسمه "العدالة" .

وهنا أيضا ليس موضع الرد على هذه الافتراءات وبيان إجماع الأمة على عدالة الصحابة، أو بيان جهود أهل الحديث في ضبطه نقلا ورواية ودراية، وقد بذلوا في ذلك أعمارهم وأموالهم، وكانوا في غاية الدقة والإتقان والتحري، هذا ما يطول الحديث بعرضه وبيانه، وكما قلت فإن المراد فقط هو إظهار موقف أهل الحداثة من التراث بدءا بأعلى شيء فيه " الكتاب والسنة".

#### أراكون والسيرة النبوية :

أما السيرة النبوية في فكر أراكون فهي مجموعة من الحكايات الشعبية، ورواها وكتابها قاموا بأعتى عملية تدليس وتمويه في التاريخ، أظهروا السيرة بمواقفها المتعددة في صورة درامية مؤثرة لتحرك العقلية الإسلامية وتنشطها، يقول تحت عنوان "الخطاب التاريخي والخطاب التيولوجي": "للتأمل بادئ ذي بدء بخطاب السيرة " أي سيرة النبي بالحالة التي وصلتنا عليها وكما كان قد شكلها ابن إسحاق الذي عاش في عامي " 85 - 151هـ / 74 - 767م "

كانت الخصائص الشكلية واللغوية لسيرة ابن إسحاق قد استخرجت من قبل، أنه أي ابن إسحاق يتمترس ويختبئ وراء المشروعات أو السیادات التي تفوقه وتتجاوزها، ولهذا السبب فهو يستخدم العبارات التالية : زعموا، فيما ذكر لي، فيما بلغني ... لقد وقع ابن إسحاق تحت ضغط وتأثير الحكايات الشعبية المنقولة عن طريق القصص والوعاظ وحكايات الأولياء والصلحاء والاستشهادات الشعرية، كما أنه ساهم في عملية التميويه والتعمية الموضوعية ضد الجاهلية التي كان القرآن قد افتتحها، لقد موهت الجاهلية أو قدمت بشكل سلمي من أجل تبيان الحقيقة الساطعة للإسلام بشكل أفضل، إنه يلح عن طريق النوادر والحكايات الملائمة على أهمية العلام والقيم والرموز المشكلة للهوية الإسلامية الجديدة أنه يشكل صورة رمزية ومثالية مقدسة عن طريق ذكر المعجزات والأعمال الخارقة وأشجار الأنساب والأوضاع الدرامية ... إن هذه الصورة المثالية موجهة لملازمة المخيال الجماعي وتحريكه وتنشيطه أكثر مما هي موجهة لتركيب أو كتابة سيرة إنسان يدعو غالبا برسول الله في حين أن القرآن قد ألح على البعد الإنساني البحت لشخصيته، ولكن يمكننا أن نذهب بعيدا أكثر في تحليل القصة عن طريق تبياننا لحقيقة أنها تكرر إنتاج أو توليد الممارسة المعروفة في علم الدلالات بالتلاعب، نقصد بالتلاعب هنا عمليات الإقناع والكفاءة " أو المقدرة على الاختراع والكينونة " والاستخدام " أي تحويل الأوضاع من حالة إلى أخرى " والإقرار أو التصديق " أي التوصل إلى العملية التأويلية التي أصبحت ممكنة عن طريق التلاعب بالحكاية السردية في مرحلتها الأولى البدائية " <sup>64</sup> ثم يذكر بعد قليل أن هذا التلاعب تمثل "في المرور من حالة الكلام الشفوي إلى حالة النص المكتوب " ثم أعلن شكه المطلق

64 - تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص (82-83).

في القرآن وهو بصدد تشكيكه في السيرة فيقول مصورا عملية التلاعب " لقد حصلت هذه الظاهرة في وقت مبكر جدا بالنسبة للقرآن"<sup>65</sup>. هذا هو موقف أراكون من السيرة النبوية وهو موقف الحاقده على هذا الدين جملة وتفصيلا، لكنه يحاول أن يظهر بمظهر الناقد المفكر الحريص على تصحيح مسيرة الفكر الإسلامي .

#### أراكون ومصادر التشريع الأخرى :

ينتقل أراكون في حملته الحاقدة على الإسلام إلى مصادر التشريع الأخرى التي اعتمدها الأمة في تاريخها الطويل، مثل الإجماع والقياس فيشكك فيها، ليستكمل ضربة شاملة يوجهها إلى الدين الحنيف، فيقول وهو بصدد حملته على كتاب الرسالة للشافعي رضي الله عنه، حيث يصور في مضمون حديثه أن القانون والتشريعات الإسلامية التي حكمت الأمة إنما هي إنتاج القضاة، ونشأت بفعل اختلاف العلماء والمجتهدين، وبالتالي لا علاقة لها بالوحي لأن الوحي في نظره خيالات تغذي العقل والخيال لا يمكن تطبيقها في الواقع، في هذا السياق يذكر أن الشافعي حاول أن يلبس هذه التشريعات ثوب الشرعية فأخذ يبرر لها وضعها التي هي عليه فوضع ما يسمى بأصول الاجتهاد متمثلة في قواعد القانون حصرها في أربعة مبادئ، يقول أراكون : "تطرح هذه الرسالة أسس وقواعد القانون في أربعة مبادئ : 1- القرآن 2- الحديث 3- الإجماع ( لكن إجماع من ؟ هل هو إجماع الأمة كلها، أم إجماع الفقهاء فحسب ؟ وفقهاء أي زمن وأية مدينة؟ لا جواب ) 4- القياس، هذه هي الحيلة الكبرى التي أتاحت شيوع ذلك الوهم الكبير بأن الشريعة ذات أصل إلهي ... " إلى أن يقول : " من جهة أخرى، ينبغي أن نشير إلى حقيقة مهمة وهي أن هذه المبادئ الأربعة غير قابلة للتطبيق "<sup>66</sup> ثم شرع في هذا السياق يبين لماذا القرآن والسنة والإجماع والقياس كلها غير قابلة للتطبيق .

وهكذا نرى الحداثيين لا يعترفون بأي شيء اسمه ثوابت أو قطعيات، فكل شيء عندهم لا بد أنه خاضع للنقد والشك والتشكيك، وأول ما يخضع لهذا في نظرهم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، أما سائر القطعيات فحدث ولا حرج، هذا يحمل موقف الحداثيين من التراث، مع نموذج لكبير الحداثيين المعاصرين "أراكون".

قبل أن نذكر ما تبقى من مبادئ الحداثة، وبعد الحديث عن موقف هؤلاء من التراث، من حيث كونه موقف إهدار وهدم لكل ما هو مقدس ومجمع عليه تحت شعار النقد لا بد وأن نبين منهج هؤلاء في النقد، لننظر هل هو منهج نقدي صحيح - هذا إن سلمنا بصحة النقد في الثوابت والقطعيات - أم أنه عبث وكفر وإلحاد لبس ثوب النقد؟، هذا ما سيتضح في السطور التالية:

65 - السابق (85).

66 - السابق (297).

## منهج النقد الحداثي حقيقة أم أكذوبة ؟

بالنظر اليسير في عبث أهل الحداثة والمسمى بالنقد يتضح أن هذا النقد يأخذ عدة ملامح لا تؤهله مطلقا إلى أن يغدو منهجا نقديا يقره العلم ويعترف به العقل، وترضاه الأمة المسلمة ذات الدين واليقين وهذه بعض تلك الملامح :

### 1- اعتماد الأدوات النقدية الغربية

لقد غرق الحداثيون في خضم الفلسفة الغربية، وحركاها النقدية خاصة ما ظهر منها في كل من ألمانيا وفرنسا باعتبارهما أهم المسارح التي ظهرت عليهما أبرز الفلسفات الهدامة، ولقد صرح الحداثيون العرب بأن اعتماد منهجية الغرب النقدية في الإسلاميات أمر مثمر جدا ولا بد منه بل لا يصح خلافه، فهذا أراكون وهو بصدد حديثه عن الشهادتين اللتين هما مفتاح الإسلام عندنا كمسلمين يهاجم المسلمين الذين يسلمون قطعا بهما باعتبارهما قضية قطعية لا تقبل الشك، ويطالب بإجراء المنهج الغربي في فهم هذه القضية، حتى إن هاشم صالح مترجم الكتاب وأحد المعجبين بفكر أراكون، وهو حداثي في ذات الوقت يعقب في هامش هذا الموضوع من كتاب أراكون " تاريخية الفكر العربي الإسلامي " قائلا : " يهاجم أراكون هنا بشكل مهذب ومقتضب - ولكن بنوع من التهكم أيضا - المستشرقين وعلماء الإسلاميات الذين يرفضون تطبيق المنهجيات الغربية الحديثة التي ظهرت بعد عام (195 م) على الإسلام، في حين أنها تطبق بشكل مفيد ومثمر جدا على المجتمعات والثقافات الغربية بالذات " <sup>67</sup> ويقول هشام شرابي : " شئنا أم أئينا يستمد هذا الفكر العلماني النَّقَاد مفاهيمه ومصطلحاته وأبعاده من التجربة الأوروبية للحداثة بمفهومها الشامل " <sup>68</sup> - وقد تأملت قليلا في مراجع أراكون لبعض كتبه فوجدت هذا الأمر بينا جليا، فثمانون بالمائة من المراجع إن لم تزد عن ذلك مراجع أجنبية لا علاقة لها بالعربية ولا بالإسلام، خذ مثلا على ذلك: قائمة مراجع مقدمة كتابه " تاريخية الفكر العربي الإسلامي " وعنوانها " كيف ندرس الفكر الإسلامي " وعدد صفحاتها إحدى وثلاثون صحيفة، فيها ثلاث وعشرون مرجعا أجنبيا إما نصا أو إحالة عليه، وثمان وعشرون مقالا أجنبيا، وجميع المجالات العربية هي مجالات الحداثيين، ثم إحالات على كتبه هو، بينما لم نجد من كتب أهل الإسلام إلا إحالة واحدة على كتاب العمدة لابن رشيقي، وأخرى للشهرستاني، وإحالة على كتاب الشاطبي، وهو في هذه النقول العربية ينقلها ليتلاعب بها أو يستغلها لأغراضه الخبيثة، هذا في المقدمة وأما بقية الكتاب فحدث ولا حرج . فعلام يدل هذا، في تقديري أن المنبع الذين يستقون منه جميعا

67 - هامش ص (79).

68 - النقد الحضاري للمجتمع العربي ص 23 ط الأولى - 1990 م - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت .



هو هذا المنبع الآسن الذي هو الفلسفة الغربية الملحدة، ومحمل فكر الحداثيين ينيء عن كلام وروح غربية مترجمة إلى العربية ليس إلا .

## 2- الانتقائية :

لقد سلك الحداثيون مع تراثنا الإسلامي مسلك القراءة الانتقائية، حيث يتصيدون من التراث أقوالاً ونصوصاً مقصودة لديهم يستخدمونها لتحقيق أغراضهم، فيفسرون بطريقتهم تارة، ويردون البعض تارة أخرى، وتراهم في مسالكهم يسيرون خلف المذاهب الشاذة في تاريخنا ويحاكمون الإسلام إليها، فإذا رفعوا شعار العقلانية أخذوا غلو المعتزلة في الكلام عن العقل فاستشهدوا به، وإذا حاولوا التأسيس لمبدأ الخروج على النسق العام للأمم، والثورة على ثوابتها واستقرارها أحيوا تراث الحركة السبئية<sup>69</sup> وثورة الزنج<sup>70</sup> وأشبه ذلك، ولهذا ترى كثيراً من الحداثيين اليوم يحاولون إحياء مثل هذه الحركات خاصة تلك التي تنتمي إلى الأقليات العرقية والدينية والمذهبية كعادتهم في التعامل مع التراث والتاريخ الإسلامي، وقد صرح بذلك الحداثيون أنفسهم حيث يقول أدونيس كاهن الحداثة في الوطن العربي عن الحداثة: "ومبدأ الحداثة هو الصراع بين النظام القائم على السلفية والرغبة العاملة على تغيير هذا النظام، وقد تأسس هذا الصراع أثناء العهدين الأموي والعباسي، حيث ترى تيارين للحداثة : الأول سياسي فكري، ويتمثل من جهة في الحركات الثورية ضد النظام القائم بدءاً من الخوارج وانتهاءً

69 - حركة يهودية كافرة تولى كبيرها عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء المتستر بالإسلام، بعد أن هاجر من اليمن إلى البصرة زمن خلافة عثمان رضي الله عنه، كان من أكبر من حرك فتنة قتل عثمان، وقد أشاع قضية رجعة النبي صلى الله عليه وسلم كرجعة عيسى ابن مريم، وقال برفع علي رضي الله عنه، وقال بالتناسخ، والإمامة التي هي عند الشيعة / انظر / الموسوعة الميسرة (1077/2).

70 - ثورة الزنج ثورة قام بها بعض الزنوج ضد الدولة العباسية، والزنوج جماعات من العبيد السود المجلوبين من أفريقيا الشرقية للعمل في استصلاح الأراضي الواقعة بين مدينتي البصرة وواسط، وكان عددهم كبيراً يُعدُّ بالألوف ويعملون في جماعات، ويحيون حياة سيئة ولا يتقاضون أجوراً يومية ولا يتجاوز قوتهم اليومي قليلاً من الطحين والتمر والسويق. استغل رجل يدعى "علي بن محمد" هذه الأوضاع وكان رجلاً طموحاً مغامراً فنجح في استمالة الزنج إليه، مستغلاً أوضاعهم السيئة فمناهم بالتححر من العبودية وتمكينهم من الوصول إلى السلطة، ثم اشتط في دعوته فادعى صفات النبوة، وأعلن أنه مرسل من الله لإنقاذ العبيد البائسين، وانتحل نسباً إلى آل البيت.

نجح صاحب الزنج في فترة قصيرة (261-255هـ = 869-875م) من أن يسيطر على البصرة وما حولها، بعد نجاحه في هزيمة جيش الدولة، ثم امتد نفوذه ليشمل الأهواز وعبادان وواسط، وكانت سياسته تجنح إلى العنف والإرهاب وإراقة الدماء؛ فدمر المدن التي احتلها وأباد كثيراً من أهلها وعاث فيها فساداً، والذي فعله بالبصرة خير دليل على ذلك؛ حيث ذكر المؤرخون أن الزنج قتلوا أكثر من 300 ألف إنسان بالبصرة وحدها، وأسرُوا عدداً كبيراً من النساء والأطفال

وبعد تولي المعتمد على الله منصب الخلافة عهد إلى أخيه الموفق بمهمة القضاء على هذه الفتنة قبل أن يستفحل خطرهما؛ فخرج من بغداد إلى واسط في شهر (صفر 267 هـ = 881م) وهزم فريقاً كبيراً من الزنج، وتوالت انتصاراته حتى أجلاهم عن الأهواز، وحاصر مدينتهم "المختارة"، وبنى مدينة بإزائها تسمى الموفقية نسبة إليه، وجعلها معسكراً دائماً له ولجيشه. انظر / تاريخ عصر الخلافة العباسية - يوسف العش - دار الفكر - دمشق - 1402 هـ 1982م.

بثورة الزنج ومرورا بالقرامطة<sup>71</sup>، والحركات الثورية المتطرفة، ويمثل من جهة ثانية في الاعتزال والعقلانية الإلحادية وفي الصوفية على الأخص<sup>72</sup> والسؤال هل نجحت هذه الحركات الشاذة في تاريخنا والتي حركتها غالبا أيد أجنبية ؟ ثم هل هذه الحركات هي التي تمثل تاريخ الأمة ؟ هل التاريخ الإسلامي مجموعة من الثورات والخروجات على الأنظمة القائمة والعادات والأعراف المستقرة على الدوام أم أن هذه قراءة انتقائية للتاريخ والتراث ؟.

### 3- الفوضوية :

رأينا أن الحداثيين غارقون في خضم الفلسفات الغربية الملحدة، وهم فقط اللسان العربي الذي ينقلها إلى ساحاتنا الفكرية، تلك الساحة التي ترفض هذه الأفكار والمناهج الحداثية، ومن هنا فالحداثة مجموع مرفوض بالنسبة لجملة الأمة، حيث يحاول الحداثيون بمنهجهم الفوضوي الذي يحارب الأصول ويعارض القطعيات أن يفرضوا منهجا لا نتيجة له إلا الفوضى لأنه نتج عن منهج فوضوي، يرفض جهرا أو ضمنا الكتاب والسنة وسائر مصادر التشريع .

#### رابعا: تمجيد الفرد والدعوة إلى استقلال الإنسان:

نادى الحداثيون بفكرة رئيسة أو مبدأ أساس ألا وهو فكرة " مركزية الإنسان " وهي فكرة تجعل " الإنسان هو المركز وعقلانيته هي المصدر والمنطلق، وانتهاء بالجسد واللذة والمتعة وحاجة سوق العمل والاستهلاك، والقوة ومعدلات الإنتاج "<sup>73</sup> يقول الدكتور سعيد الغامدي : " إن المتأمل في المنظومات التعريفية الحداثية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار يجد أنها تتطوي على كامن فكري جوهري بدايته إعلان استقلال الإنسان واكتفاؤه بذاته، ونهايته الوصول إلى تأليهه لتكون الخاتمة بالقضاء عليه (فكرة موت المؤلف ) (موت المبدع ) (تفكيك الإنسان) ونحو ذلك . إن البداية الحداثية الفكرية الفلسفية تدور حول (مركزية الإنسان) واستقلال وجوده، وهو ما يعرف ب(الفكر الهيوماني ) ولهذا الفكرة تعبيرات مختلفة منها (العقلانية - الاستنارة - البنيوية - التفكيكية.. الخ) وهذه البداية اقتضت وتقتضي تجاوزا لكل ما يعتقدون أنه (نسقي) أو (محافظ) أو (ثابت) أو (مؤسسي ) إلى أن تصل في أقصى درجات غلوها إلى تجاوز (الغيبي )

71 - القرامطة : حركة حركة باطنية هدامة تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه وهو من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة. وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية، ومن مبادئها إلغاء أحكام الإسلام، استخدام العنف لتحقيق الأهداف ، التأويلات الفاسدة للصيام عندهم الإمساك عن كشف السر، والبعث الاهتمام إلى مذهبهم، يقولون بوجود إلهين قديمين . أنظر الموسوعة الميسرة (381/1 - 385).

72 - حوار مع د/سعيد بن ناصر الغامدي ص 13 بعنوان د/ سعيد بن ناصر الغامدي يقوم الاتجاهات الحداثية العربية موقع الشبكة الإسلامية على الإنترنت 0www.islamweb.net بتاريخ / 2005/2/10م.

73 - حوار الغامدي ص (2).

و(القيمي) كل ذلك في إطار تصفية الثنائيات، حسب تعبيرهم، فالنص دال ومدلول معا، والإبداع كاتب وقارئ، لأن (المؤلف قد مات بمجرد إنتاجه)، والثقافة فعل ومفعول في الوقت ذاته، إلى آخر ما هنالك من حذف للفواصل والحدود والأقواس في تراكميات لفظية تعود جميعها جوهريا إلى إلغاء ثنائية الخلق والخالق، وهي الثنائية التي تعني عند المؤمن الانفصال التام بين الاثنين، وتعني افتقار المخلوق إلى خالقه، وإلغاء هذه الثنائية هو ما عبر عنه نيتشه ب (موت الإله) وعبر عنه بعض الحداثيين العرب ب( انتهاء المتعاليات) و (عودة الوجود الإنساني) و (أنسنة المقدس) و(أنسنة الوحي) وغير ذلك من التعبيرات<sup>74</sup>. وأرى أن هذا العبث الفكري جاء -فيما أتصور- كرد فعل لما كان يعانيه الإنسان من قيود وأغلال فرضتها عليه الكنيسة وغيرها من الإقطاع والاستبداد في العصور الوسطى<sup>75</sup> كما جاءت هذه الفكرة مقارنة ومرتبطة ارتباطا وثيقا بمبدأ الحرية المطلقة التي تحدثنا عنها آنفا، فنادوا بالحرية مقابل الاستبداد، وبتمجيد الإنسان مقابل إذلاله ومحو شخصيته، فالفكرتان وليدتان تلك البيئة الأوروبية، إذا فكرة تمجيد الإنسان وإعلان استقلاله غدتا فكرة الحرية المطلقة كل ذلك إفراز أوضاع وبيئة معينة، لا تشبه البيئة الإسلامية بحال لا في الفكر ولا في الدين ولا في الأنظمة الحكمة وقتذاك، ومن هنا فنقل هذه الاتجاهات والأفكار من بيئة إلى أخرى دون اعتبار خصوصيات تلك البيئات مغالطة مقصودة وتقليد غبي، الإنسان في الإسلام والرد على الحداثيين :

إذا كانت مواقف الحداثيين من الإنسان هي محاولة تأليهه وجعله مركز الكون، والنظر إلى كل شيء من خلال عقله واحتياجاته، فإنهم بذلك قد جلبوا للبشرية الشقاء والتعاسة، ولنسأل هؤلاء أخبرونا بنتيجة هذه الفكرة، أي سعادة حققتها فكرتكم تلك للإنسان، لقد تحرر المتأثرون بهذه الفكرة من الدين، وتحللوا من الأخلاق، وهاجموا حتى إنسانيتهم وطمأنينتهم، فرأينا الأمراض النفسية والقلق، والتزوع إلى المخدرات هروبا من الواقع البئيس، وأخذ الإنسان يشرع لنفسه كل يوم شرعة يرجو من ورائها السعادة فما تريده إلا شقاء، ولعل حالات الانتحار والتخلص من

74 - السابق ص (2,3)

75 - المراد بالعصور الوسطى كما قال د/ سعيد عبد الفتاح عاشور: المدرسة القديمة تتخذ عام 476م وهي السنة التي سقطت فيها الإمبراطورية في الغرب حدا فاصلا بين العصور القديمة والعصور الوسطى ، وسنة 1453 م وهي السنة التي سقطت فيها القسطنطينية في أيدي العثمانيين حدا فاصلا بين العصور الوسطى والعصور الحديثة، فكان ما بين 476 و 1453 هي العصور الوسطى ، وفي موطن آخر قال في مطلع مقدمة كتابه : " ظل اصطلاح العصور الوسطى حتى زمن قريب يطلق على القرون العشرة الواقعة بين سقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب في النصف الثاني من القرن الخامس ، وظهور حركة النهضة الإيطالية في القرن الخامس عشر " ثم ذكر أن اتجاهها جديدا بين الباحثين يجعل العصور الوسطى هي القرون الأربعة التي سبقت النهضة الإيطالية مباشرة ، وما بين القرن الخامس إلى الحادي عشر بمثابة دور انتقال طويل من العصور القديمة إلى العصور الوسطى 0 انظر /أوربا العصور الوسطى ج 1 ص 3 التاريخ السياسي ط العاشرة 1986 م مكتبة الأنجلو المصرية .

الحياة تلك التي تنتشر في العالم الغربي صاحب هذه الأفكار أكبر دليل على ذلك، وهنا نقول إن هذه عبودية جديدة للإنسان، عبوديته لشهواته الزائلة، ولعقله القاصر الذي لم يهتد بنور الوحي، فليست هذه حرية الإنسان، وليست هذه مكانة الإنسان الحقيقية، أما الإسلام الذي أعرض عنه الحداثيون فإنه الدين الوحيد الذي بين مكانة الإنسان الحقيقية، وكرمه أحسن تكريم، ومنحه الحرية البناءة التي تليق به كمخلوق عاقل مستخلف وفيما يلي طرف في بيان ذلك :

- 1- أكرم الله تعالى الإنسان بأن خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه، قال تعالى: " فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين "76 وحسبك بمخلوق خلقه اله تعالى بيديه ونفخ فيه من روحه.
  - 2- أن الله تعالى أسجد الملائكة الكرام لهذا المخلوق الجديد: " فقعوا له ساجدين ... )
  - 3- أن الله تعالى منحه العقل وكرمه به، وأمره باستعماله وعدم تعطيله، وبه ساد الإنسان سائر المخلوقات، فبه يدبر أموره، ويتصرف بحكمة في شئونه بخلاف غيره مما لا يعقل .
  - 4- أن الله تعالى أحسن خلقه وقومته حيث قال سبحانه: " يل أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك "77 ومن عليه بما منحه من حواس فقال تعالى: " ألم نجعل له عينين . ولسانا وشفتين . وهديناه النجدين "78 .
  - 5- ثم بلغت العناية الإلهية بالإنسان أن أرسل إليه الرسل وأنزل الكتب، تحقيقا للسعادة والرشاد، وتضمنت هذه الشرائع حرية المرء، وجميع حقوقه قبل أن يتشدد بها هؤلاء الذين يهتمون بالإسلام اليوم بكل سيئة بقرون عديدة.
  - 6- ومن التكريم الرباني له كذلك أن أماته فأقبره، ثم سن له من الشرائع والأحكام ما يحفظ حرمة ميتا كما حفظت وهو حي، وفوق ذلك كله شملت شريعة الله تعالى ما يكفل للإنسان حياة مادية كريمة، وأخلاقية راقية، واجتماعية آمنة، بل كفل له سعادة الآخرة متى أحسن التعامل مع ربه في الدنيا، وإذا حاولنا استقصاء جوانب التكريم الإلهي للإنسان فذلك أمر يطول .
- وبعد هذا أقول إن الإسلام يضع الإنسان في موضعه الحقيقي اللائق به فمن القواعد القرآنية في ذلك قوله تعالى :

76 - سورة ص آية ( 72 ) .

77 - سورة الانفطار آيات ( 6-8 ) .

78 - سورة البلد آيات ( 8- 10 ) .

"إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون"<sup>79</sup> فليس للإنسان علم مطلق لأنه ليس إلها بل هو مخلوق، فهل فهم الحداثيون ذلك أم يكذبون رب الأرباب، ويصرون على أن الإنسان بعقله وشخصيته هو محور الأشياء، وهو إله ينبغي اعتبار شأنه.

قوله تعالى : "أنتم أعلم أم الله " وقوله تعالى : " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير "<sup>80</sup> وقوله تعالى : " ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " إن هذه القواعد الربانية تبين أن الإنسان مخلوق مكرم، وليس إلها متصرفا كما ينادي الحداثيون .

في هذا السياق أقول : لقد حقق الفكر الغربي الذي انبهر أهل الحداثة بعض الجوانب المادية للإنسان، لكنه لم ينجح في تحقيق السعادة والطمأنينة له، وهذه بعض الإحصاءات التي تبين مدي شقاء الغرب بل الحياة كلها بسبب هذا الفكر الغربي الذي ينادي به العالم الغربي ويحاول فرضه فيما يسمى بعولمة الثقافة، ثم يتنادى به هؤلاء الذبول المقلدون والمهورون بهذا الفكر أو المنتفعون من ورائه :

- ارتفع حجم مبيعات الأسلحة على مستوى العالم بنسبة 8% خلال عام 1..2 م ليصل إلى 36,9 مليار .
- بلغ عدد متعاطي المخدرات في روسيا وحدها ما بين 12 - 15 مليون إنسان، وأكد نائب الاتحاد الروسي لمكافحة المخدرات أن نسبة تداول المخدرات في الاقتصاد العالمي تتراوح بين 3-35%، ويقدر الخبراء الغربيون قيمة تداول المخدرات في روسيا ب 8-9 بلايين دولار. أما بالنسبة لحالات القتل كجريمة فقد بلغت في روسيا عام 1..1م 29 ألف جريمة .
- الشرق الروسي الفقير أكبر مورد للبغايا إلى الدول الآسيوية المطللة على المحيط الهادي، ويقدر عدد النساء الروسيات اللاتي يعملن في هذه المهنة بالصين ودول شرق آسيا نحو 5. ألف امرأة .
- ومن نتائج الحرية الغربية نجد الأرقام الآتية : بلغ المدخنون في أمريكا 61 مليون بالإضافة إلى 7 ملايين يدخنون سجائر بلا دخان، ويموت كل عام مائة ألف إنسان بسبب تعاطي الكحول، وبلغت عدد حالات الأمراض النفسية والعقلية والسلوكية ما بين 1.7 - 2.4 مليون حالة، والذين يتعرضون للكآبة سنويا يقدرون بحوالي 11 مليون أمريكي، ويحتاج 27 مليون أمريكي إلى علاج نفسي، أما حالات الانتحار ففي كل 17 دقيقة هناك تقع حالة انتحار من أمريكي، ويقتل 65 شخصا يوميا بسبب العنف وجرائمه، وتوجد في أمريكا

<sup>79</sup> - سورة جزء من آية رقم (74).

<sup>80</sup> - سورة الملك آية (14) .

- مليون فتاة من المراهقات والقاصرات يحملن كل عام، و3.. ألف منهن دون الخامسة عشرة، و4.. ألف منهن يقدمن على عملية الإجهاض .
- أظهرت إحدى الدراسات أن 5.5% من الذكور قد مارسوا الجنس المثلي (الواط) في حياتهم، كما أن عدد من يمارسن السحاق بين النساء الأمريكيات بلغ 5،1 مليون امرأة، أما حالات الاغتصاب فقد مورس في حق 21-23% من نساء المدن والحضر في أمريكا، بينما حالات الطلاق هناك مليوني حالة سنويا، هذه هي أمريكا.
  - وعلى الصعيد الأوربي ففي ألمانيا بلغت نسبة حالات الانتحار الأعلى في أوروبا، فالذين يقررون الانتحار سنويا 12 ألف ألماني، 15% منهم من مرضى الاكتئاب .
  - 9.0% من شباب هولندا ما بين سن 18-24 يشربون الكحوليات 3.0% منهم وصل إلى حد الإدمان .
  - 4.0% من نساء السويد أجري عليهن استطلاع في استكهولم أكدن أنهن يخن أزواجهن مع غيرهم.
  - في النمسا 52% ممن شملهم الاستطلاع يجذبون حياة المخادنة بدل الأزواج، 42% منهم لم يمانعوا إصدار قانون يسمح رسميا للرجل بالزواج من رجل .
- هذا هو العالم الغربي ( انتفاش الخارج وانهمار الداخل ) كما يقول التقرير الذي استقيناه منه هذه الإحصاءات .
- أما العالم العربي والإسلامي الذي يلح الحداثيون على إلحاقه بالعالم الغربي في كل شيء خيره وشره حلوه ومره فقد تأثر تأثرا كبيرا بتلك الدعاوى الخبيثة وهذه بعض الإحصاءات التي تدل على ذلك:
- 17% من شباب الجامعات المصرية مدمنون، 14 مليار جنيه هي حجم تجارة المخدرات في مصر في عام واحد، 75% من حالات الاغتصاب يرتكبها أشخاص تحت تأثير المخدرات.
  - 26% من الشباب المغربي يتعاطون المخدرات.
  - 15 مليار دولار تنفقها المرأة الخليجية على مستحضرات التجميل.
  - عدد المصابين بالإيدز في إيران عشرة آلاف حالة<sup>81</sup> .
- ولعل المطالع للصحف اليومية يدرك مدي خطورة الوضع العربي والإسلامي على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي مما لا أحب ذكره هنا .

81 - انظر هذه الإحصاءات وغيرها الكثير في الملحق السنوي الصادر عن مجلة البيان بعنوان (العالم في عام رصد رقمي لأحوال العالم) حسن قطامش ط الأولى 2002م - 1423هـ .

هذه هي حالة العالم الغربي الذي يراى لنا أن نلحق به ونقلده، وهذه هي حالة الإنسان الغربي الذي عاش حياته المادية، وفقد الحياة الروحية بسبب أفكار التحرر والعلمنة وتآليه الإنسان .

خامسا : الأخذ بالعلم ومناهجه بعيدا عن الدين :

ويتلخص هذا المبدأ في : " أن كل ما لا يخضع لقوانين العلم والتجربة والمحسوس لا ينبغي تصديقه ولا الإيمان به"، يقول علي وطفة: " المعرفة العلمية هي المحور الأساسي في فهمنا للكون وحقائقه وعمله، بصرف النظر عن المعارف التراثية والتقليدية التي سادت في العصور الماضية من تاريخ الإنسانية" <sup>82</sup> هذا هو الميزان الحدائي في فهم الأشياء والحكم عليها إنه العلم وموازينه المادية، ولا يعتد بشيء غيره من دين أو تراث أو أي معيار آخر هذه هي الفكرة باختصار والتي تمثل مبدءا بارزا ومرتكزا واضحا من مرتكزات الحداثة، وساعد على انتشار هذه الفكرة تلك الانجازات المادية والعلمية التي أنجزها الغرب في شتى الجوانب بعد كبت طويل طال الغربيين من الكنيسة وغيرها كما بينا آنفا يقول الحداثيون : " لقد أدخل التقدم المستمر للعلوم والتقنيات، وثورة التكنولوجيا إلى الحياة الاجتماعية عامل التغيير المستمر والصيرورة الدائمة التي أدت إلى انهيار المعايير والقيم الثقافية التقليدية، وفي ظل هذه الصيرورة الاجتماعية بمختلف اتجاهاتها تحدد السياق العام لمفهوم الحداثة بوصفه ممارسة اجتماعية ونمطا من الحياة يقوم على أساسي التغيير والابتكار" <sup>83</sup> وهكذا الحداثة إنما تقوم على أنقاض القيم والثقافة التقليدية، ويعني الحداثيون بها تلك الثقافة المعبرة عن دين الأمة وخصوصيتها الحضارية، وإذا كانت الحداثة لم تنشأ في الغرب إلا على أنقاض الدين، فإنهم يريدون في البلاد الإسلامية حداثة تقوم على أنقاض الإسلام ولغته وحضارته، والعجيب أن الحداثيين يرون التعارض التام بين الحداثة التي ينادون بها وبين التراث، فالتراث على حد قول طه حسين عائق أمام العقل العلمي الحديث. لقد أقبل الناس إقبالا كبيرا في الغرب على العلوم ومنجزاتها بعد أن أداروا ظهورهم للدين، وظن البعض " في أواخر القرن التاسع عشر أن تقدم الإنسان في هذه العلوم قد بلغ نهايته، وأنه لم يعد من شيء جديد يكتشفه، وفي مطلع القرن العشرين دعا " تشارلز هـ. دويل" مفوض مكتب براءات الاختراع في الولايات المتحدة، الرئيس " ماكينلي" إلى إلغاء مكتبه، مدعيا أن كل ما يمكن اختراعه قد اخترع، ولكن منذ الإدلاء بهذا القول عام 1899م تم اعتماد أربعة ملايين براءة اختراع في أمريكا وحدها، لقد كانت زحمة العلوم هائلة منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر، زحمة أذهلت الناس... أمام هذه التغيرات ازدادت الريبة في الماضي، والحيرة أمام الحاضر، والقلق بالمستقبل، وبرزت تناقضات في واقع الناس وفي بعض النتائج التي يصلون إليها، وقويت الرغبة في تحطيم الأطر والأنماط والنظم مما يتعلق بالماضي، في سبيل البحث عن جديد، وأصبحت هذه المظاهر صفات أساسية في "

82 - مقاربات بين مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة ص (13).

83 - السابق ص (1)

النهج الحدائي " البعيد عن المنهج الإيماني : الريبة والشك، القلق والحيرة، والنقمة على الماضي وتحطيم  
أطره ونظمه، ومحاولة الجمع بين المتناقضات "84

### الإسلام والعلم :

ليس على وجه الأرض دين عني بالعلم كالإسلام، حيث دعا إليه ورغب فيه، وكرم أهله، لكنه في  
النهاية يقول للخلق : " وما أوتيتم من العلم إلا قليلا "85، وهذا الذي يتعلمه الإنسان ويحصله إنما هو  
من نعم الله تعالى على عبده، كما يجعل الإسلام العلم طريقا إلى الإيمان لا ذريعة إلى الكفر والإلحاد  
: " إنما يخشى الله من عباده العلماء "86، وعلى الإنسان أن يسعى في الأرض وينظر في الملكوت، يعمر  
ولا يدمر، وينشر مع العلم الإيمان، ومع المخترعات التواضع والخضوع لرب الكائنات، فعندما دعا الله  
تعالى إلى النظر في الكون والتفكر في جنباته فذلك لأمر منها : أن يدرك المخلوق عظمة خالقه  
فيزداد إيمانا، وأن يقف على مكنونات هذا الكون البديع فيستخرج مقدراته ويستغلها في عمارة  
الكون الذي خلق لاستعمارها، وعندما يعن النظر فإنه معه يشعر بالجمال فيرقى ذوقه، وترقى مشاعره  
وتزداد لديه حاسة الجمال، ويكتسب من الكون أخلاقيات الجمال والنظام والترتيب، وكل ذلك  
يتراءى أمام ناظريه في كون الله تعالى البديع، وهنا يدرك المرء بدقة النظر أن العلم يدعو إلى الإيمان  
وأنة لا تعارض بين كون الله تعالى ودينه، لقد نشأت علوم في الإسلام كثيرة قبل أن تفتح أوربا  
عيونها على العالم، حيث كانت في ظلمات الجهل تتخبط، لكننا رأينا علماءنا الكبار في شتى العلوم  
الكونية لم يلحدوا كما ألحد الغرب، ولم يكفروا ويتنكروا للدين كما فعل العلمانيون وغيرهم مع  
الدين، لقد كان العلم سبيلا لإدراك عظمة الله تعالى لا طريقا لنكرانه، ولم يفصل المسلمون يوما ما  
العلم عن الدين فهما صنوان لا ضدان، أما الحداثيون فيرون الدين ضدا للعلم، بل عقبة لا يتقدم العلم  
معها فلا بد من التنكر له ومحاربته لتحقيق العقلية العلمية، لقد حققت العلوم الحديثة للناس نعم الشيء  
الكثير لكنها كما يقول د/ النحوي : " لم تستطع أن تحل مشكلات الإنسان في نفسه وعلاقاته، إن  
التكنولوجيا أو التقدم الفني يمكن أن يحل مشكلات الآلة وما يشبهها من مشكلات الإنسان . أما  
المشكلات السياسية والاجتماعية والنفسية والخلقية، والمشكلات التي يصنعها الإنسان بنفسه، سيظل  
يواجهها هو بنفسه، ولن يجد من الآلة والتكنولوجيا أكثر من عون محدود مهما عظمت الآلة ونمت،  
فجابه الإنسان هذه المشكلات كلها، وبحث عن حلولها في كل ما لديه، فما وجد الحل الذي يطمئن  
إليه، وهو ينتقل من جديد إلى جديد في مذهب تنقله من ظلام إلى ظلام، وعلى غير نهج مستقر أو  
سبيل مستقيم، وأكثر من ذلك، فقد تطورت العلوم التطبيقية لتبين للإنسان زيادة اتساع المجهول

84 تقوم نظرية الحدائ ص( 97 ).

85 - سورة الإسراء جزء من آية (85).

86 - سورة فاطر جزء من آية ( 28 ).



أمامه كلما توغل قليلا، بدلا من أن يضيق المجهول أمامه، وزادت المشكلة صعوبة حين أصبحت هذه العلوم تقدم له سلاحا يدمر حياته ويهدد مستقبله<sup>87</sup> هكذا رأينا العلم وحده بلا دين مدمرا، ولا يكفي لإسعاد الإنسان ما لم ينطلق من قاعدة دين صحيح هاد، ولذا رأينا ديننا الحنيف يدعو إلى العلم بعين الإيمان، فيسير المسلم في طريق العلم ويثبت من خلال عمله العلمي مهما كان تخصصه تجليات الإيمان والقدرة الإلهية في كل عمل .

#### سادسا: الحرب على اللغة العربية

اللغة العربية جزء من التراث الإسلامي للأمة، وكان من الطبيعي أن يدخل الحديث عن هذا المبدأ ضمن الحديث عن المبدأ الثالث في حديثنا عن مبادئ الحداثة، إلا أن إفراده بالحديث باستقلال لخطورة الموضوع وكونه من المحاور الرئيسة في عملهم حتى ظن البعض أن الحداثة إنما هي نظرية في الفن والأدب فقط، فضلا عن كون اللغة العربية قد نالت من الحداثيين الكثير والكثير باعتبارها بوابة لفهم الإسلام الحنيف.

- لقد وقف الحداثيون من اللغة العربية موقف العدو المبغض، فهاجموها بنحوها وصرفها وشعرها ونثرها، وأعلامها ودواوين أهلها الشعرية والنثرية، وتحت شعار الحداثة بدت أحقادهم وجهالاتهم، فالشعر العربي على الرغم من أن له أهمية قصوى في لغتنا العربية، حيث يرجع إليه العلماء في فهم القرآن، فهو ديوان العرب المبين طريقته في الاستعمال، والمظهر لمعهدهم في الخطاب، ولقد بين الصحابة والتابعون ومن بعدهم أهمية أشعار العرب فها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل عن قوله تعالى: "أو يأخذهم على تخوف" وهو على المنبر فقال له رجل من هذيل: التخوف عندنا التنقص، ثم أنشده:

تخوف الرجل منها تامكا قردا      كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر: أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم.<sup>88</sup> وابن عباس رضي الله عنه يقول عن الشعر: " (الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه" وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (علموا أولادكم الشعر، فإنه مكارم الأخلاق). وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (تحفظوا الأشعار، وطالعوا الأخبار، فإن الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويعلم محاسن الأعمال، ويبعث على جليل الفعال، ويفتق الفطنة ويشحذ العقل) وقال معاوية رضي الله عنه: (يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب التأديب). وقول عبد الملك بن مروان: (تعلموا الشعر ففيه محاسن تبتغي، ومساوئ تتق). ووصية الرشيد إلى الكسائي بالأمين والمأمون فكان مّا

87 - تقويم نظرية الحداثة ص (98-97).

88 - الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي ج/2 ص (88).

أوصاه: (وروهما من الشعر أوفى أدب. <sup>89</sup> مع هذه الأهمية للشعر لدى الأمة نرى الحداثيين يحاربونه وينادون بالتفلسف من نهج العرب في شعرهم، وهذا لا شك ذريعة للبعد عن اللسان العربي وفساد أذواق، فترى بدر شاكر السياب ونازك الملائكة بدءا كتابة الشعر الحر " وكل منهما يدعي أنه الأول، بيد المهم إنجازهما وإنجاز من أخذ بالطريقة الجديدة للكتابة الشعرية، لقد كسروا طريقة التركيب الداخلي والشكلي للقصيدة العربية <sup>90</sup> فالتجربة " التي أرساها جيل (الرواد) كانت نواة للمفهوم القيمي الجديد، هذا المفهوم الذي يلغي جميع المفاهيم الفنية السابقة مع قدامى العرب <sup>91</sup>، وقع الاعتداء على الشعر العربي تحت شعار الحداثة وخديعة " تفضيل المعنى على المبنى <sup>92</sup> وهذا نموذج من شعرهم الحر :

في العجين الذي يستدير .

ويدحى كنه صغير، كئدي الحياه .

مت بالنار: أحرقت ظلماء طيني، فظل الإله.

كنت بدءا وفي البدء كان الفقير.

شعر من ديوان شاكر السياب أحد رواد شعر الحداثة، وهو كما ترى لا معنى ولا مبنى ولا روح، ومع ذلك يعقب أحد الحداثيين على هذا المراء قائلا: "نلاحظ في هذا القطع عناية الشكل إلى جانب العناية المضمون.... القصيدة هنا هي قصيدة الواقع ومعنى الواقع" <sup>93</sup>. ويتهم الحداثيون أهل اللغة بأنهم يهتمون بشكل القصيدة دون مضمونها، وأنهم عاجزون عن تصور قصيدة خالية من الأوزان فيقول ديزيره سقال: " لا بد لنا من أن نؤكد أن أكثر ما في التجربة الشعرية الحديثة تحديا هو الثورة على الشكل، لأن الكلاسيكيين عاجزون عن تصور شعر عربي بدون الأوزان الخليلية، إنهم يرون الأصالة في الشكل، وبما أن المضمون قد شهد ثورة، فقد كان لا بد من ثورة في الشكل أيضا، ونحن نرى أن ثورة المضمون هي التي استدعت ثورة الشكل لا العكس <sup>94</sup> وهذا اللف والدوران لا يغني فتिला،

89 - انظر العمدة لابن رشيق (18/1) مكتبة الأنجلو المصرية.

90 - حركة الحداثة آراؤها وإنجازاتها د/ ديزيره سقال ص 14 ط الأولى - دار الصداقة العربية - لبنان - بيروت.

91 - السابق 15 .

92 - السابق 16 .

93 - السابق ص 18 .

94 - السابق ص(190) .

حيث إن الحداثيين حاربوا الشعر بأبحره العربية الخليلية فقصوا في شعرهم عليها، وحاربوا المضمون العربي الإسلامي الأخلاقي بالمجون والإلحاد، فأصبح شعرهم لا شكل له ولا مضمون .

#### أدباء العربية وشعر الحداثة:

وهنا نقف وقفة مع أحد النقاد العرب المصريين وهو د/ كمال نشأت أستاذ الأدب العربي في الجامعات العربية، والشاعر والناقد الأدبي وهو يحلل شعر الحداثة وخطورته على اللغة والذوق بل على العروبة والدين حيث يقرر في كتابه الأخير الذي أصدرته مكتبة الأسرة بمصر تحت عنوان "شعر الحداثة في مصر" عدة أوصاف لشعر الحداثة وشعرائها في صورة شهادات حتى لبعض أدباء الحداثة والمفنونين بها، فهذا د/ عبد القادر القط يقول في شهادته على شعراء الحداثة: إن شعراء الحداثة بعيدون كل البعد عن قضايا المجتمع الذي يعيشون فيه وعن مشاكل الإنسان الذي يعيشون معه."

ويقول د/ أحمد هيكل : إن هذا الإنتاج الشعري الذي يأخذ هذه الوجهة الانغلاقية الألغازية الإهامية قد عزل نفسه في نطاق خاص جداً، وهو نطاق هؤلاء الشعراء.

ومن النقاد العرب إلى شاعر من أمريكا الجنوبية ينتقد شعراء الحداثة (لتجميعهم الكلمات عشوائياً وفق آخر موضوعات باريس)

ويرى د/ كمال نشأت أن أبيات الشعر الحداثي التي يسمونها "قصيدة النثر" بتسمية أدونيس تخلو من الجمال، فهي لا ترسم لوحةً جماليةً، ولا تعكس دلالةً فنيةً مثلما نرى في الشعر الحق، ذلك أنها مكونة من عناصر بعيدة لا انسجامَ بينها، أُكْرِهَتْ على التزول في غير مواضعها فكان هذا التشتت المعيب<sup>(95)</sup>.

#### قصيدة النثر تناقض حقيقتها

من الكوارث التي حلت على الأدب العربي في الفترة الأخيرة ما يسمى "قصيدة النثر" التي تتناقض في تسميتها مع حقيقتها؛ حيث يثور السؤال كيف تكون قصيدة وكيف تكون نثراً في آن واحد؟ !

يشير الدكتور كمال نشأت إلى أن ما يسمى "قصيدة النثر" قد عرفه الأدب العربي فيما يسمى "النثر الفني" الذي كان يكتبه مصطفى صادق الرافعي ومي زيادة وأمين الريحاني وحسين عفيف، وكان هذا إبداعاً في أعلى مراتب الأدب، وهذا على خلاف ما يكتبه الحداثيون من نثر يسمونه قصيدة وهو في حقيقته تقليد لقصيدة النثر الفرنسية، والتي مر كتابها بظروف قاسية شكلت حياتهم.

<sup>95</sup> - من عرض أ/ عمرو محمود لكتاب ( شعر الحداثة في مصر ) للدكتور / كمال نشأت منشور في موقع إخوان أون لاين بتاريخ

وهنا يتساءل الدكتور كمال نشأت: هل انتقل التشويه النفسي من نفس الشاعر إلى قلمه؟! ويؤكد الناقد الكبير الدكتور كمال نشأت أن ما يسمى "قصيدة النثر" يدعو إلى نفور المتلقي أو إهماله؛ بسبب استغلالها وعبثها باللغة وتعتيمها الذي لا يسمح بنقطة ضوء تنير كهوفها المظلمة، وهو الأمر الذي حال بينها وبين الوصول المؤثر في نفس قارئها.

ويورد في هذا الصدد أمثلة كثيرة، منها: (من ضلع صحراء قد اشتدت - سما - إذ مر رضقت به حرية من وحدة ما - مخمية - صداً يتناسل حتى فرع نقطة أبيض كمخاضة - برق فراغ ما لم يعلمه ضل - راكد كسماء في مداخلها سراب - ليس عرضةً لهدف - إنما صار - احتمل زمانه فخرج تبت إليك من إشراكه - وشيشها بجسدي - إلحاحاً لأنسي - بكلتا يديه على عرصات الهواء مسقوفاً بما اشتهى .. إلخ.

ويعلق الدكتور كمال نشأت على الأمثلة التي أوردتها، ومنها المثال السابق بأنها نوعٌ من العبثية والخروج على المعقولة؛ مما يشي بفساد الفطرة الذوقية، وهي تقليد لتعبيرات الأدب الغربي الذي لا يناسب بيئتنا ولا ثقافتنا.

ويرى الناقد التشكيلي محمود بقشيش أن بعض الرسامين الأوروبيين استعملوا "البراز" الآدمي في رسم بعض لوحاتهم، وهذا نوع من العبث يشبه ما وصل إلى حياتنا اليومية؛ حيث نرى رءوس الشباب التي حلقوها بأشكال قبيحة مستفزة، وفي شعور النساء المنكوشة، وفي تقطيع قماش البنطلون الجيتر فوق الركبتين وفي ترك رباط الحذاء مفكوكاً.. إلخ.<sup>96</sup> هذا هو شعر الحداثة في عيون النقاد وهذه هي خطورته .

أما اللغة وكلماقها والأدب وفنونه فكما قلنا قبل ذلك إن الحداثيين نقلوا حداثة الغرب إلى بلادنا، وهي البيئة التي كانت تعج بالمتناقضات، فكان الأدب: "باباً واسعاً للتعبير عن كل هذه المتناقضات، هنا في ساحة الأدب والفنون كانت ملامح الحداثة أوضح، لا لأن الحداثة مختصة بها، ولكن لأن الأدب والفنون أقرب للناس عامة، وأوسع انتشاراً<sup>97</sup>. لقد وجد الإنسان نفسه في أوروبا وسط هذه المتناقضات، وفي البلاد العربية وبعد هزيمة 1967م وبعد أن هزم المشروع القومي، أحس جيل القوميين العرب بالهزيمة الكاملة لمشروعهم، فأخذوا يهربون من بلادهم إلى أوروبا ومن لم يستطع هرب من فكره وانسلخ من هويته إلى ما يسمى بالحداثة، وفيها وجدوا الأدب مهرباً لهم يعبرون فيه عن نفسياتهم المنهزمة، يقول الدكتور عدنان رضا النحوي: كان الهروب إلى الرمز ليخفي وراءه

96 - السابق نفس المقال .

97 - تقويم نظرية الحداثة (99).

شعوره وفكره المتأزم، فظهرت الحركة (الرمزية)<sup>98</sup> في صورة انخطاطية، كما سمو أول أمرهم، وحملت الرمزية معها وقاحة التعبير واضطرابه على صورة تخلخل المعنى أو تحطمه، وأصبح الرمز هو الصنم الجديد، ثم تطورت الرمزية إلى بعد أعمق في الغموض، فكانت الحركة (الانطباعية)<sup>99</sup> التي تلجأ إلى أسلوب تعبر به عن الانطباع الموحد للمعنى في اللون أو الضوء، إنهم يعتقدون أن الأشياء ذاتها تتحطم وتزول، فليست هي المهمة ولكنها تترك آثارها وانطباعاتها، فهم يرون ضرورة إحياء قوة اللون كتجربة حضارية، وقد مثلت هاتان الحركتان (الرمزية والانطباعية) بداية الهجوم على اللغة، وهي تحاول التخلص من جزئيات اللغة كالحروف .

ثم ظهرت الحركة (المستقبلية) في إيطاليا 19.5 م لتوغل في الغموض والاضطراب، حيث أعلن أصحابها أنهم سيبتكرون (الخيال اللاسلكي) الذي سيتمخض عن توليف متجانس لعناصر الكون التي يمكن احتواؤها بنظرة خاطفة، وضع "ماريني" في مقدمة كتابه المسمى "زانك تم تم" عنواناً هو : تحطيم النحو - خيال لاسلكي - كلمات حرة " فكانت من أشد الحركات تحطيماً للغة، ودعو إلى الشعر الحر والكلمة الحرة المتفلتة من معانيها وقواعدها، ولتتحول إلى مقاطع صوتية غامضة هيستيرية مثل (سي سي سي سي سي سي) ثم تتحول الكلمات إلى رموز رياضية (X-+-+--+ ) هذا في إيطاليا، وفي روسيا كانت التعبيرات في منتهى الغموض والعبث اعتمدت الحركة الكلمات الصوتية مثل الحركة في أوربا مثل قصيدة " دربل إشكل، ابشكر، سكم، مي سوبو، رل ينر " مقاطع صوتية لا معنى لها في أي لغة، ولكن هذه المدرسة مع كل عجائبها وحرها على التراث والدين واللغة، حاربت الرمزيين، وأصدرت هذه الحركة بيانها سنة 1912م وأسموه (صفعة في وجه الذوق العام) وجعلت همها غسل الكلمات وتطهيرها من طلاء التراث الأدبي، وهذه المهمة دعا إليها أدونيس وكمال أبو أديب من رجال الحداثة في إجماع يدور كله مهما اختلف اللفظ، حول قول أحدهم " إن الشاعر

98 - الرمزية هي • الرمزية مذهب أدبي فلسفي ملحد، يعبر عن التجارب الأدبية والفلسفية المختلفة بواسطة الرمز أو الإشارة أو التلميح.

- والرمز معناه الإيحاء، أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى اللغة على أدائها أو لا يراود التعبير عنها مباشرة.  
- ولا تخلو الرمزية من مضامين فكرية واجتماعية، تدعو إلى التحلل من القيم الدينية والخلقية، بل تتمرد عليها؛ متسترة بالرمز والإشارة.

- وتعد الرمزية الأساس المؤثر في مذهب الحداثة الفكري والأدبي الذي خلفه . انظر/ الموسوعة الميسرة (874/2)  
99 - الانطباعية هي :/ الانطباعية مذهب(\*) أدبي فني، ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في فرنسا، وهو يعتبر الإحساس، والانطباع الشخصي الأساس في التعبير الفني والأدبي، لا المفهوم العقلائي للأمر. ويرجع ذلك إلى أن أي عمل فني بحث لا بد أن يمر بنفس الفنان أولاً، وعملية المرور هذه هي التي توحى بالانطباع أو التأثير الذي يدفع الفنان إلى التعبير عنه. انظر/ الموسوعة الميسرة (2/895).

يحرر الكلمة من معانيها ومما علق بها من غبار السنين فيطهرها ويغسلها " ويقول أدونيس في كتابه (مقدمة في الشعر العربي): "يصبح الشعر في هذه الحالة ثورة مستمرة على اللغة" ... إجماع حدائي واضح على حرب اللغة والمعاني والتراث، ويلتقي من أجل ذلك حدائيو العالم الإسلامي مع حدائيي أوروبا، في ساحة واحدة، وفي تبعية ذليلة وتقليد مهين، ليرسموا خصائص واحدة للحادثة<sup>100</sup>

هذه أبرز مبادئ الحداثة عرضناها وبيننا بنظرة نقدية مدي التخبط والعبث، والعداء والحقد على اللغة والتراث والدين، والجرأة على ثوابت الأمة وإجماعاتها، وهكذا " كانت الحداثة وصمةً في جبين الأدب العربي، خاصةً بعد أن كشفت الباحثة الإنجليزية فرانسيس ستوز سوندرز أن المخابرات الأمريكية كانت وراء محاولات نشر الحداثة وتمويل مجلتي "شعر" و"حوار"<sup>101</sup> وكلتاهما لسان حال الحداثيين في مجال اللغة والشعر والأدب.

## المبحث الثاني

### خصائص الحداثة

للحداثة عدة خصائص نذكرها فيما يلي :

#### 1- الانحراف العقدي

في الفكر الإسلامي الأصيل لا ينفك الفكر عن السلوك، ولا تنفصل العقيدة عن العمل، وعمل الإنسان أيا كان نوعه ترجمة لعقيدته، ودعوة إليها، وحراسة لها، فالشاعر يعبر بشعره عن فكرته وعقيدته، والفنان يترجم عن فكرته الإسلامية بريشته، والمعماري يبدي الملامح الحضارية الإسلامية في شكل عمارته، هكذا المسلم على اختلاف عمله ومهنته تبدو لديه روح الإسلام، لكننا نجد الحداثيين يثون سموم إلحادهم وانحرافهم العقدي من خلال أعمالهم ومكتوباتهم وخاصة في مجال الأدب والشعر، فهم يستهزؤون بالله ورسله وشريعته، وهذه نماذج تدل على بعض انحرافهم العقدي:

- أدونيس راهب الحداثة يعلن عن كفره في بعض ما يسميه شعرا قائلا :

(أسير في الدرب التي توصل الله

إلى الستائر المسدلة

لعلني أقدر أن أبدله.

وفي موضع آخر يعلن عن وثنيته قائلا :

<sup>100</sup> - نظرية تقويم الحداثة ص 99 - 102 بتصرف واختصار .

<sup>101</sup> - عرض عمرو محمود لكتاب "شعر الحداثة في مصر" مصدر سابق .

- وهذا قدوة الحداثيين رشيد بو جدرة الجزائري يبين توجه الجزائر نحو العلمنة ويشيد جدا بهذا التوجه، وكيف أن مظاهر الإفطار في رمضان بدأت تظهر في شوارع الجزائر معتبرا هذا نوعا من التسامح ثم يقول بعد هذا: "صحيح أنه لا يمكن للملحدين وغير المؤمنين اليوم المطالبة بشيء لكن هناك محاولة حاليا لتشكيل اتحاد ملحدين جزائريين يمكنهم الدفاع عن أنفسهم كجماعة، يكفيها شيء من الإقدام والجرأة لتفرض احترامها ... نحن الأقلية المظلومة - يقصد الملحدين - يعترى التباعد علاقتنا مع السلطة خلافا للمسلمين المؤمنين، فمن السهل أن تكون مسلما في هذه البلاد، ولكن من الصعوبة بمكان أن تكون ملحدا، وعندما أتكلم عن أقلية غير مؤمنة أقصد أناسا من فئة المثقفين معروفة بتوجهاتها الماركسية"<sup>103</sup> هذا إعلان صريح لبعض إلهاد الحداثيين، وهو كثير مكرور، وليس البحث خاصا هنا باستقصاء أقوالهم الإلهادية، ويكفي أن نحيل القارئ إلى الرسالة الجامعية القيمة "الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها" للدكتور / سعيد بن ناصر الغامدي وهي في ثلاث مجلدات كبار أتت على فكر الحداثيين من القواعد، وأظهرت عوارهم الفكري والأدبي والعقائدي.

## 2- الغموض واحتقار عقلية الجماهير :

أبر ما يميز فكر الحداثة الغموض، بدءا من مفهوم الحداثة والوقوف على ماهيتها، وانتهاء بما كتبه أهل الحداثة في كثير من إصداراتهم كتباً كانت أو مقالات أو حتى أشعار - إن صح لهم شعر - والعجيب أنهم يعتبرون أن حياة الحداثة في غموضها، وموتها في ظهور حقيقتها . فأنت ترى في هذا الفكر كثيرا جدا من الألفاظ الطنانة، والتراكيب المعقدة الغريبة التي لا تحمل معنى، ولا تفيد شيئا خذ مثلا من كتاب أركون " تاريخية الفكر العربي الإسلامي " حيث يستعمل مصطلحات لا عهد للعرب ولا للمسلمين باستعمالها، وهي تحتاج إلى قواميس أجنبية فلسفية وغير فلسفية لحل لفظها والوقوف على معانيها فمن ألفاظه مثلا : أنثولوجيا، الميتولوجيات، التيولوجية، التشظي، المعاني المتشظية، البسيكولوجي، الإكراهات اللغوية، الإنطولوجي، السوسيولوجية، المنهجية الفللوجية، المخيال، التوترات الثقيفية، أسطورة العصر التدشيني، الانتروبولوجيا، البسيكولوجيا، التصور الميثي، المناقشة الاستمولوجية، الدوغمائية، التحليل الشيمي، اليقين العلمي، أركولوجيا الحياة اليومية، الثقافة الحضرية العالمية،<sup>104</sup> إلى غير ذلك من

102 - الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها دراسة نقدية شرعية د/ سعيد بن ناصر الغامدي ج 1/ 521 نقلا عن الأعمال

الشعرية لأدونيس 105/1

103 - السابق ص 523 .

104 - انظر كتاب أركون / تاريخية الفكر العربي الإسلامي تجد الكتاب محشوا بهذه المصطلحات وغيرها الكثير والكثير .

عشرات الكلمات الغريبة الموحشة، والتي تتكرر في عشرات بل مئات المواضع من كتابه وكل كتبه

أوردت مجلة "فصول" تعريفا للحادثة أوردته الموسوعة العالمية الفرنسية تحت عنوان "الحادثة في العالم الثالث" فتقول: إن الحادثة جدلية انفصال تتراجع أما دينامية دمج " وفي مكان آخر منها نقرأ: "إن الحادثة إجراء أيديولوجي موسع أو أنها متناقضة وليست جدلية"<sup>105</sup> كلام غريب غير متناسق وغير مفهوم .

في مقال بعنوان "العلماني عندما لا يفهم العلماني" تقول كاتبة المقال :سوسن الأبطح، وهي تتحدث عن مؤتمر للحداثيين انعقد في بيروت، وتصف كيف جاء الحداثيون إلى المؤتمر "بمصطلحاتهم المعقدة، نظرياتهم التجريدية، وأساليبهم الإنشائية، ومشاريعهم الأفلاطونية ... وكأن المسألة هي تبار في الاستعراضات الكلامية ... حيث لا يتسنى للحاضرين سوى السماع من دون القدرة على التمعن والتدقيق، لغة تكاد تحتاج إلى مترجمين من العربية إلى العربية " ثم تقول - وكانت هي إحدى الحاضرات في هذا المؤتمر - " وصادف أن جلس إلى جانبي كاتبة معروفة، فإذا بها بعد ربع ساعة من إنصاتها لإحدى المداخلات تهمس في أذني متعجبة ومتسائلة : " عما يتحدث هذا الرجل، إني لا أفهم شيئا" ثم تقول " فإذا كان الكتاب يعجزون ويتأففون فما بمقدورنا أن نقول عن الإنسان البسيط الذي لم يتمرس في القراءة وملاحقة التحليل"<sup>106</sup> والعجيب أنك تجد عند الحداثيين تبريرا لمثل هذا الغموض "تفسيرا يتناسب مع غرورهم الثقافي، إذ يبررون ذلك بأن العقل العربي لا يزال وفق آليات ومنطلقات لا تستوعب هذه المصطلحات والمناهج النقدية التي يیشونها في دراساتهم النقدية، إذ الكتابة العالية لا تتوجه إلى جمهور شعبي من القراء بل تستهدف النخبة المثقفة القادرة على قراءة هذا النهج من الكتابة"<sup>107</sup> وهكذا يحتقر الحداثيون عقل الجمهور ويرونه عقلا أدنى من أن يفهم ويستوعب الطرح الحداثي، والحقيقة أن هذا الغموض في تصوري مقصود وذلك ليتلاعبوا بالألفاظ وليخفوا وراءها مكرهم وإحادهم، فإذا ما حاكمهم الجمهور الراض لفكرهم لاذوا بالتأويل والتماس المخرج، والغموض كذلك مقصود لأمر آخر وهو :أهم أتوا بفكر غريب عن فكر الأمة ودينها، وبالتالي فهو لا يلي طموحات الأمة، ولا يسهم في حل مشكلاتها، ومن هنا فلا بد من محاولة إبقائه أكبر فترة داخل

105 - انظر / نظرية تقوم الحادثة ص 42 .

106 - انظر مقال/ العلماني عندما لا يفهم العلماني / سوسن الأبطح شبكة المعلومات العالمية الإنترنت موقع :

www.libyaforum.org

107 - مأزق النقد في الفكر الحداثي د/ أحمد بن محمد العيسى ص 2 .



الجسد الإسلامي ولا يكون ذلك إلا بإحاطة هذا الفكر بضباب كثيف يحجب معناه، ويغطي مقصد أصحابه فإنه لو أفصح عنه لقبول بالرفض من أول وهلة وبالتالي فلا بد من الغموض .  
ثالثا : الولع بالنماذج الشاذة:

لكي يجد الحداثيون مبررا تاريخيا لوجودهم في الحياة الإسلامية والعربية، فإنهم يلجأون إلى التاريخ ينتقون منه النماذج الشاذة يتعلقون بها ويقتدون، ثم يقولون هذا هو التاريخ الإسلامي يحمل في طياته حركات حداثا وانقلاب على الماضي، فلسنا إذا بدعا في التاريخ إنهم يتحدثون عن نماذج شاذة في تاريخ الأمة يبررون بها عملهم فهذا أدونيس في كتابه الثابت والمتحول يقول : " ومبدأ الحداثا هو الصراع بين النظام القائم على السلفية والرغبة العاملة على تغيير هذا النظام، وقد تأسس هذا الصراع أثناء العهدين الأموي والعباسي، حيث ترى تيارين للحداثا : الأول سياسي فكري، ويتمثل من جهة في الحركات الثورية ضد النظام القائم بدعا من الخوارج وانتهاء بثورة الزنج ومرورا بالقرامطة، والحركات الثورية المتطرفة، ويمثل من جهة ثانية في الاعتزال والعقلانية الإلحادية وفي الصوفية على الأخص"<sup>108</sup>

رابعا : الارتحال الفكري ( الالتقاء مع كل الأفكار والتيارات المنحرفة)  
تقول الموسوعة الميسرة "تبنت الحداثا كثيرا من المعتقدات والمذاهب الفلسفية والأدبية والنفسية أهمها :

- 1- الدادائية: وهي دعوة ظهرت عام 1916م، غالت في الشعور الفردي ومهاجمة المعتقدات، وطالبت بالعودة للبداية والفوضى الفنية الاجتماعية.
  - 2- السريالية: واعتمادها على التنويم المغناطيسي، والأحلام الفرويدية، بحجة أن هذا هو الوعي الثوري للذات، ولهذا ترفض التحليل المنطقي، وتعتمد بدلاً عنه الهوس والعاطفة.
  - 3- الرمزية: وما تتضمنه من ابتعاد عن الواقع والسباحة في عالم الخيال والأوهام، فضلاً عن التحرر من الأوزان الشعرية، واستخدام التعبيرات الغامضة والألفاظ الموحية برأي روادها."<sup>109</sup>
- فالقارئ لفكر الحداثا يجدها فكرة تعيش في كل بيئة غير نظيفة فكريا وأخلاقيا ودينيا، فهي تلتقي مع الماركسية، والوجودية، والعقلانية، والرأسمالية، والعبثية، والنصرانية، وكل فكرة تنكر للدين، وتحارب الخلاق، وتنبره بالفكر الغربي والثقافة الغربية، والسبب في ذلك فيما أظن أن الفكرة تقبل كل جديد، وتلهث خلفه ولو أدى ذلك إلى التناقض والاضطراب، ومن هنا نجد فيها النصيري كأدونيس، والماركسي كحسن خنفي ونصر أبي زيد وجابر عصفور وأحمد عبد المعطي حجازي، ومحمد أركون، ومحمد شحرور، وسعيد عشاوي، والنصراني كلويس عوض وخليل

108 - الثابت والمتحول لأدونيس ( 10 - 9 / 1 ) .

109 - الموسوعة الميسرة ( 877-880/2 ) .

حاوي وأنطون سعادة وسعيد عقل، والفكرة تضم في طياتها كما بينا آنفا الفكر العقلاني الذي يؤله العقل، والفكر العلماني الذي يقلص دور الدين بل يحاربه، والفكر المادي الذي لا يؤمن إلا بالمحسوس، والفكر الوجودي الذي يؤله الإنسان إلى غير ذلك، ورأينا كذلك أن الفكرة عاشت في بلاد مختلفة الأفكار والأديان والاتجاهات الفكرية والأنظمة الاقتصادية كألمانيا وفرنسا وروسيا وأمريكا وغير ذلك.

خامسا : الاضطراب والقلق والفوضوية :

تعبيرات الحداثيين تفصح عن هذه السمة فهذا الحداثي كمال أبو أديب يقول : " : وعي الزمن بوصفه حركة تغيير ... والحداثة اختراق لهذا السلام مع النفس ومع العالم، وطرح للأسئلة القلقة التي لا تطمح إلى الحصول على إجابات نهائية، بقدر ما يفتنها قلق التساؤل وحمى البحث، والحداثة جرثومة الاكتناه الدائب القلق المتوتر، إنها حمى الانفتاح"<sup>110</sup> وحداثي آخر يقول عن الحداثة: "إنها فن اللافن، كما يقول التعبيريون، الفن الذي يحطم الأطر التقليدية، ويبني رغبات الإنسان الفوضوية التي لا يحدها حد"<sup>111</sup>. ولو تتبعنا أقوال الحداثيين وأفكارهم لرأينا الفوضى والاضطراب حتى في تصوير مفهوم الحداثة، وأي فوضى أكبر من الانقلاب على الدين والأخلاق، وهدم التاريخ والتراث، ماذا يبقى للأمة أن هدمت لغتها فنطقت بأحرف ورموز غير مفهومة؟، وما قيمة الأمة إذا انقطعت عن تاريخها وبدأت من الصفر؟ وماذا يبقى للأمة لو تركت دينها وارتمت في عنف الأفكار والتيارات الحداثية التي نبتت في بيئة الانحلال والإلحاد. سادسا : الإباحية :

الإباحية من أبرز سمات أهل الحداثة، يظهر ذلك على الخصوص في شعرهم وآدابهم، ففي مقطع من مقاطع هراء الشلمغاني<sup>112</sup> الذي يسميه شعرا يقول فيه :

" اتركوا الصلاة والصيام وبقية العبادات

لا تناكحوا بعقد

أبيحوا الفروج

للإنسان أن يجامع من يشاء"<sup>113</sup>

110 - تقويم نظرية الحداثة ص 38 .

111 - السابق ص 35 نقلا عن كتابه (الحداثة في منظور إيماني) .

112 - هو محمد بن علي الشلمغاني ، شيعي من غلاة الشيعة ، كان إماميا ثم تحول إلى النصيرية ، وادعى أن الألوهية حلت فيه، ودعى إلى شريعة إباحية اخترعها من عند نفسه في أيام المعتمد العباسي ، فأفتى العلماء بقتله ، فقتل وحرقت جثته سنة 322 هـ انظر الأعلام 6/ 273 .

113 - الانحراف العقدي في فكر الحداثة ج1/ 583 نقلا عن الأعمال الشعرية لأونيس 547/2-548 .

ولعل نزار قباني وشعره أدل دليل على الإغراق في الإباحية والتحلل، فشعره تفاعل بالزنى والجنس، والغناء والموسيقى " يصرح الملحد نزار قباني بأنه قد قرأ آيات من القرآن مكتوبة بأحرف كوفية عن الجهاد في سبيل الله، وعن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن الشريعة الحنفية، لكنه لا يبارك في داخل سريره إلا الجهاد على نحر البغايا، وأثداء العاهرات، وبين المعاصم الطرية، فيقول في ديوانه (لا) صفحة 57:

أقرأ آيات من القرآن فوق رأسه

مكتوبةً بأحرف كوفية

عن الجهاد في سبيل الله

والرسول

والشريعة الحنيفة

أقول في سريري:

تبارك الجهاد في النحر، والأثداء

والمعاصم الطرية..<sup>114</sup>

وهو يعلن أيضاً أنه يحترف عبادة النساء، فيقول :

(أنا لا أحترف قتل الجميلات

وإنما أحترف عبادتهن).<sup>115</sup>

ويقول هذا المحرم الملحد : كل كلمة شعرية تتحول في النهاية إلى طقس من طقوس العبادة والكشف والتجلي ... كل شيء يتحول بالشعر إلى ديانة، حتى الجنس يصير ديناً، والسرير يصير مذبحاً وغرفة اعتراف، والغريب أنني أنظر دائماً إلى شعري الجنسي بعيني كاهن، وأفترش شعر حبيبي كما يفتersh المؤمن سجادة الصلاة<sup>116</sup>

وكثيراً ما يصرح هؤلاء العابثون الملحدون بأنهم يعبدون المرأة، فهذا يوسف سعدي يتحدث عن عشيقته قائلاً لها : " فديتك إن عبدت الجمال وغير جمالك لن أعبدًا ويتحدث أمل دنقل عن إحدى عشيقاته فيقول :  
( قالت : سأنزل

114 - السيف البتار في نحر الشيطان نزار ومن وراءه من المرتدين الفجار ممدوح بن علي بن عليان السهلي الحربي ص 16-17 الطبعة الثانية 1420هـ - 2000م - دار المآثر - للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية.

114 - السابق 24.

115 - الانحراف العقدي في شعر الحداثة 375/1-376.

116 - الانحراف العقدي في شعر الحداثة 375/1-376 .

قلت :يا معبودتي لا تتزلي (117).

وهكذا لو تتبعنا أقوالهم سنجد أنهم عصابة إباحية غارقة في الخمر والجنس، وترجم عما هي فيه بما يسمونه شعرا .

هذه بعض خصائص الحداثة، ومن خلالها يتبين لنا مدى خطورة هذا الفكر على عقائدنا، وأخلاقنا، ولغتنا بل وحياتنا جملة، ويكفي في خطورتها أن وراءها دول بمخابراتها وأجهزتها تحاول أن تضعف الأمة، وتقوض بنيتها.

ويمكن بعد هذا التفصيل أن نحمل مجموعة خصائص الحداثة فيما ذكرته الموسوعة الميسرة في الآتي :  
أهم خصائص الحداثة :

- محاربة الدين بالفكر والنشاط.
- الحيرة والشك والقلق والاضطراب.
- تمجيد الرذيلة والفساد والإلحاد.
- الهروب من الواقع إلى الشهوات والمخدرات والخمر.
- الثورة على القدم كله وتحطيم جميع أطر الماضي، إلا الحركات الشعبية والباطنية.
- الثورة على اللغة بصورها التقليدية المتعددة.
- امتدت الحداثة في الأدب إلى مختلف نواحي الفكر الإنساني ونشاطه.
- قلب موازين المجتمع والمطالبة بدفع المرأة إلى ميادين الحياة بكل فتنتها، والدعوة إلى تحريرها من أحكام الشريعة.
- عزل الدين ورجاله واستغلاله في حروب عدوانية.
- تبني المصادفة والحظ والهوس والخيال لمعالجة الحالات النفسية والفكرية بعد فشل العقل في مجابهة الواقع.
- امتداد الثورة على الطبيعة والكون ونظامه وإظهار الإنسان بمظهر الذي يقهر الطبيعة.
- ولذا نلمس في الحداثة قدحاً في التراث الإسلامي، وإبرازاً لشخصيات عرفت بجنوحها العقدي كالحلاج والأسود العنسي ومهيار الديلمي وميمون القداح وغيرهم. وهذا المنهج يعبر به الأدباء المتحللون من قيم الدين والأمانة، عن خلجات نفوسهم وانتماءاتهم الفكرية".<sup>118</sup>

### المبحث الثالث

#### مخاطر الحداثة :

<sup>117</sup> - السابق 384/1 نقلا عن الأعمال الشعرية لأمل دنقل ص 75

<sup>118</sup> - الموسوعة الميسرة (2/881-882).

للحدثاء مخاطر كثيرة على الدين الإسلامي عقيدته، وعبادته، وأخلاقه، وشريعته، ولغته، وأهله، وحضارته، وبلاده. ونستطيع أن نذكر جملة من المخاطر الحدثاء على كل ذلك في هذه النقاط :

#### 1- الخطر على العقيدة :

حيث إن الحدثاء - في الجملة - تنادي بالإلحاد والكفر بالأديان جميعا، من خلال أديانها المختلفة فتزار قباني يقول :

(من بعد موت الله مشنوقا على باب المدينة

لم تبق للصلوات قيمة

لم يبق للإيمان أو للكفر قيمة)<sup>119</sup>

ويقول محمود درويش:

(يوم كان الإله يجلد عبده

قلت يا ناس نكفر)<sup>120</sup>

وهذا يوسف الخال يعلن كفره وإلحاده فيقول :

(لا نور لا ظلام لا إله )

ويقول توفيق الصايغ النصراني :

( يأتين إن يأتين في ركب إله

ولا إله

تقنص خطو إله

ولا إله)<sup>121</sup>

أما حسن حنفي فيرد على حدثيين اتهموه بالسلفية والتراث قائلا : "نحن منذ فجر النهضة العربية الحديثة وحتى الآن نحاول أن نخرج من الإيمان السلفي ... إلى أن يقول : أنا ماركسي شاب ... وبعد قليل يكرر نفس الكلام فيقول : وأنا هنا ماركسي أكثر من الماركسيين"،<sup>122</sup> وهاهو فؤاد زكريا شيخ العلمانيين والحدثيين يعلن أن " العلمانية هي الحل " وذلك في وجه الإسلاميين المناادين بأن " الإسلام هو الحل " <sup>123</sup>

119 - الانحراف العقدي في شعر الحدثاء 528/1 نقلا عن الأعمال الشعرية الكاملة لزار قباني 342/3

120 - السابق نقلا 528/1 عن ديوان محمود درويش ص 145

121 - السابق 525 / 1 .

122 - السابق 524/1 .

123 - دفاع عن ثقافتنا جمال سلطان ص 16 دار الوطن للنشر - ط الأولى 1412 هـ -

إن هذا الفكر الذي يتداول بين بعض من يسمون بالمتقنين جدير بأن ينشر الإلحاد بين الناس، خاصة طائفة الشباب الذين يتلقون من هؤلاء في الجامعات، ويلمعهم الإعلام للجماهير، ولقد شاهدت بنفسى إقبالا غير عادي من الشباب والفتيات على دواوين "نزار قباني" في إحدى السنوات في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة، ولقد فرّخ هؤلاء العلمانيون الحداثيون جيلا جديدا من تلامذتهم والمتأثرين بهم، انتشروا في الأوساط الثقافية في وزارات الثقافة والإعلام والجامعات في البلاد العربية والإسلامية بلا استثناء، ولقد فرعت مما ذكره الأستاذ جمال سلطان في كتابه (دفاع عن ثقافتنا) حيث ذكر أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (اليسكو) وهي تابعة إداريا للجامعة العربية، وهي وكالة متخصصة للشئون الثقافية، وتضم من بين أقسامها ما يسمى (الإدارة الثقافية) وفيها لجنة تخطيط العمل الثقافي وتنظيم أجهزته في الوطن العربي سني (1974-1975م) التي عقدت مؤتمرها الأول حول "الأصالة والتجديد في الثقافة العربية" ومؤتمرها حول "الوحدة والتنوع في الثقافة العربية" والعجيب أن الذين عُرِلوا عن هذه المؤتمرات هم الإسلاميون، وأصبحت هذه المؤتمرات حكرا على دعاة التغريب والحداثة. والعجيب أن (اليسكو) قامت تحت عباءتها مشروعات ضخمة منها: العمل الضخم المسمى: (الخطة الشاملة للثقافة العربية) وهي بمثابة (استراتيجيات للثقافة العربية)، وصفت هذه الخطة بـ ( جهد تاريخي ظل حلما غاليا ) بوصف د/ محي الدين صابر مدير عام المنظمة، ومحل الشاهد عدة مقولات أساسية وردت في هذه الخطة للنظر ماذا يريد الحداثيون والعلمانيون من العالم العربي والإسلامي، وأنقل هنا بعض البنود الواردة في الخطة التي أوردها جمال سلطان منها قولهم إن :

- انتشار الإيمان بالغيب (الفكر الغيبي) أهم أسباب انتكاسة الحضارة العربية.
- إذا كان الدين عنصر الوحدة في القرون السابقة، فإن القومية هي عنصرها في العصر الحديث .
- من المستحيل أن نقبل تقنيات الغرب وعلومه ونرفض في الوقت نفسه فلسفاته وثقافته.
- الحضارة الأوربية حضارة مطلقة . بمعنى أنها قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، بينما الحضارات السابقة تاريخية نسبية.
- الماركسية ليست غزوا فكريا يهدد الأمة .
- على استراتيجية الثقافة العربية أن تحذر من السقوط في حبال الفكر الديني.<sup>124</sup>

124 - انظر / دفاع عن ثقافتنا ص 12-15

وهكذا تصبح العقائد الإسلامية هي سبب الانتكاسة العربية، في نظر هؤلاء المجرمين المأجورين، هذا إن أحسنا بهم الظن، وتصبح الماركسية، والفلسفات الغربية هي المخرج، وتصبح العودة إلى الدين خطراً عظيماً ينبغي التحذير منه، وعلى الأمة أن تترقي في أحضان الحضارة الغربية وتأخذ منها تقنياتها وفلسفاتها . هذه هي بنود الخطة التي تسير عليها منظمة مهمتها التخطيط لمستقبل الثقافة، إنه الإلحاد يطل برأسه في بلادنا، بل يضع جذوره من خلال مؤسسات رسمية ينفق عليها من أموال المسلمين .

ومن العجيب المذهل المحزن المخزي أن هذه العصابة المأجورة الملحدة تتحكم في زمام ثقافتنا من خلال تلك المؤسسات، وكأن هذه المؤسسات الرسمية ما قامت إلا لإضافة الشرعية على الكفر وغزو العقول المسلمة بهذا الإلحاد، والمثال على ذلك :  
أن الندوات المتعلقة بمناقشة "محور الفكر الإسلامي" قسمت القضايا التي ستعالجها إلى محاور، في كل محور بحث أو بحثان هما محور النقاش، ولكن إلى من أوكلت اللجنة هذا المحور " محور الفكر الإسلامي "؟ المفاجأة أنها أوكلت هذا المحور لمحمد أركون " وهو من هو بفكره الإلحادي المشكك في الوحي والتراث والنبوة على نحو ما بينا في مبادئ الحداثة . ولا أدري هل انعدم علماء الإسلام المحترمون حتى يوكل مثل هذا الأمر المهم إلى إنسان يعادي الفكر الإسلامي والتراث الإسلامي .

ثم مما يزيد الداء علة والطين بلة أن البحث الثاني من محاور الفكر الإسلامي أوكلته اللجنة إلى د/ حسن حنفي الذي لا يفتأ أن يصرح في المحافل المختلفة أنه ماركسي أكثر من الماركسيين، وهو تلميذ وفي لفلسفة أستاذه اليهودي الشهير "باروغ اسبينوز" .  
وأوكلت اللجنة معالجة "الغزو الثقافي" إلى ماركسي شهير هو محمود أمين العالم، أحد مؤسسي الحركة الماركسية في مصر .

وكلفت اللجنة رائد العلمانية في الوطن العربي د/فؤاد زكريا بوضع مسودة المشروع .  
وأوكلت اللجنة صياغة مشروعها تحت عنوان "الإنتاج الفكري والتخطيط المستقبلي له" إلى د/ عبد العظيم أنيس أحد رموز الشيوعية في مصر، كما أوكلت إلى د/ محمد عابد الجابري صياغة مشروع لندوة "وسائل التخطيط الثقافي" وهو حدث كبير متفرنس.<sup>125</sup> بهذا وغيره يظهر الخطر العقائدي للحداثة على المسلمين، وهذا من أكبر أنواع الخطر، فإن زلزلة عقائد المسلمين حكم بنهاية الأمة وتيهها بين الأمم .

## 2- الخطر الأخلاقي والاجتماعي :

125 - انظر المصدر السابق ص 15-18

إذا كانت الإباحية والتحلل إحدى أبرز خصائص الحداثة فإن لذلك مخاطر أخلاقية واجتماعية كبيرة، فبينما الإسلام يحث على العفة، ويرسم للمسلم منهج التعفف إذا بالإباحيين ينادون باستحلال الفروج، والنكاح بلا عقود، ويصفون في أشعارهم الصدور والنهود والشعور، بلا حياء ولا حرج، وعلى الصعيد الاجتماعي نرى الخطر الداهم من وراء فكر الحداثة حيث أطلق الحداثيون قضية الفحولة والأنوثة، أو النقد النسوي<sup>126</sup>، ؛ "ولكي نفهم قضية الفحولة والأنوثة التي يثيرها المتحلون لا بد من العودة إلى جذور هذه الدعوة في محاولة تلخيصية توضيحية تناسب المقام.

1 — تقوم الفكرة أصلاً على قاعدة من الفلسفة المادية التي تنكر أي وجود جوهري للإنسان مستقل عن المادة وحركتها.

2 — الفكرة المادية الشمولية، تشكل إطاراً مرجعياً (نسقياً) في أذهان المتأثرين به، بما في ذلك الذين لا يستبعدون الدين نهائياً.

3 — الفلسفة العقلانية المادية في تعاملها مع الإنسان تنظر إليه في إطار نظرة تحليلية مادية تلغي كل الخصائص غير الطبيعية، ثم تقوم بتشريحه / تفكيكه إلى عناصره المادية الأولية.

4 — من منطلقات هذه الفلسفات كان الهجوم المادي العنيف على الطبيعة الإنسانية، والسمات البشرية التي تميز الإنسان عن غيره، والمقومات الفطرية التي لها أثر في تحديد نوعية نشاط الإنسان بناءً على جنسه وخلقه.

5 — من معطيات الهجوم المادي على الطبيعة الإنسانية والفطرة الخلقية للإنسان كانت دعوات الشذوذ الجنسي، والدعوة إلى تقنيه وتطبيعه اعتماداً على إلغاء ثنائية الذكر والأنثى، المستندة أصلاً إلى المعيارية الإنسانية، المستمدة من معيارية وجود خالق ومخلوق.

---

126 — ظهر هذا النقد النسوي كخطاب منظم في الستينات الميلادية ، واعتمد على حركات تحرير المرأة التي طالبت بحقوق المرأة المشروعة في العالم الغربي ، ولا تزال حركة النقد النسوي على صلة وثيقة بحركات النساء المطالبة بالمساواة والحرية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وتعد (فرجينيا وولف) من رائدات حركة هذا النقد حينما اتهمت العالم الغربي بأنه مجتمع (أبوي) منع المرأة من تحقيق طموحاتها الفنية والأدبية إضافة إلى حرمانها اقتصادياً وثقافياً ، وفي فرنسا تزعمت الحركة البغي المشهورة (سيمون دي بوفوار)، وزعمت أنه لا بد من خلع المرأة من تبعيتها للرجل ، حتى لا يكون للرجل سمة الهيمنة والأهمية، وفي الجملة هي حركة يصل الأمر بها إلى ضرورة أن تكون المرأة هي الأصل والرجل هو الفرع وأن تزال كل الفوارق الطبيعية وغير الطبيعية بينهما انظر / دليل الناقد الأدبي د/ ميجان الرويلي د/ سعد اليازغي ص 160-164 ط الأولى دار العبيكان- السعودية - 1995-1415هـ ، والمرأة والجنود د/ أميمة أبو بكر ، د/شيرين شكري ص 93-103 ط الأولى 2002-1423 دار الفكر -دمشق- دار الفكر المعاصر بيروت.



6 — من تطبيقات هذه المبادئ ظهرت حركات تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها، ثم ظهر من سنوات قريبة مصطلح (الأنوثة) **Feminism**، وحل محل حركة تحرير المرأة.

7 — مذهب (الأنوثة) يقوم على رؤية تفترض مركزية الإنسان واستغنائه بذاته، وينطلق البرنامج الثقافي والفكري والاجتماعي لعقيدة (الأنوثة) من منطلق (مركزية المرأة) و (المرأة أولاً)، ومن قاعدة أن الأنثى دائماً في حالة صراع كوني مع الرجل، مع السلطة الأبوية والزوجية، ومن هنا ظهرت نظريات عن أنوثة الإله — تعالى الله — وعن التفسير الأنثوي للتاريخ، وعن تأنيث اللغة، إلى آخر ما هنالك من أفكار ومذاهب تقوم على استحالة التواصل بين الذكر والأنثى؛ لأنهما في صراع مستمر لا ينقطع، ومهمة الدعوات (الأنثوية) تحطيم الفحولة والقضاء على الرجل المتسلط، وتحسين أداء الأنثى في عملية الصراع هذه.

8 — من هنا يتم الهجوم على (الفحولة) أو ما يعبر عنه بـ (ذكورية اللغة) الذي هو في حقيقته هجوم على اللغة ذاتها وتشويهها، والتلاعب بمدلولاتها الحقيقية، بل المجازية أيضاً.

9 — آخر المطاف وليس نهايته يصل مذهب (الأنوثة) ومقاومة الفحولة وتحطيم الرجل العدو اللدود للمرأة — حسب نظريتهم — يصل المذهب إلى (الجنوسة) **Gender** (الجندر) الذي: هو عبارة عن زيادة التمرکز حول المرأة، وإيقاد نيران الصراع مع الرجل.

والجنوسة أو الجندر يعود في أصله إلى مصطلح لغوي ألسني، ومن هنا يمكن تلمس منابع مصطلحات (الفحولة) و (الأنوثة) في الخطاب المذكور<sup>127</sup>.

وتعتمد (الجنوسة) أو الجندر على إلغاء أي شكل أو نوع من أنواع التمايز بين الرجل والمرأة، تحت ذريعة إخراج المرأة من الهيمنة والسلطة والتسلط، وحصار الهوية، وهوس الفضيلة ونحو ذلك. والجنوسة في الفكر الغربي حاولت تحييد الرجل وإبعاده، والعجيب أن ذلك تم بأفكار ومنطلقات (ذكورية) تزداد فيها سيطرة الرجل على الأنثى، وتتسع بها مجالات استمتاعه بها، كما هو حاصل في دعوات تحرير المرأة ودعوات الأنوثة، وقد زعمت هذه الأفكار بأنها سوف تقلب بنية التضاد بين الذكر والأنثى؛ لكي تصبح الأنثى أصلاً والذكر فرعاً، وهذه الدعاوى المستندة على الفكر المادي التصارعي لن تستطيع فعل شيء في هذا المضمار، سوى أنها ستستخدم آلية القمع التي تزعم أنها جاءت لمناهضتها، وتوقع الأنثى في شرك خادع وفخاخ انتهازية شهوانية ذرائعية نصبها لها الرجل.

127 — انظر تفاصيل ذلك : المرأة والجندر ص 93 — 115 مصدر سابق .

1. — إن التطبيق العلمي لدعوة (الأنوثة) أو (الجنوسة) ومحاربة (الذكورة) والقضاء على (الفحولة) تعني إلغاء أشكال السلطة المعروفة في الحياة الاجتماعية.

والمستعيرون لهذه الأفكار من أبناء المسلمين لا يخفون ذلك، بل يعتبرونه مجداً وفخراً وإنجازاً، ولو كانت هذه السلطة هي حق الله تعالى في التشريع والأمر والنهي، وهي ما يسمونه القضاء على (الأنثا المتعالية) التي تمتد أيضاً لتصل إلى سلطة الأب على ابنته؛ فالأب ذكر فحل والبنت أنثى، أو سلطة الزوج الفحل أو سلطة النظام الذي يمثل الخطاب الفحولي، أو سلطة المدرس الذي يتمتع بالصلاحيات الفحولية. ثم يستمر الهوس (الأنثوي) (الجنسوي) (الجنديري) عند هؤلاء لتطالع مفرداتهم من قبيل: (تدوين الأنوثة، تأنيث المكان، استرداد اللغة لأنوثتها، تأنيث الذاكرة)، ونحو ذلك من المصطلحات والمفردات المكتوبة بحروف عربية وأفكار غريبة، لا يتورع صاحبها أن يصف كل خطاب ونص له هيمنة بأنه خطاب (فحولي) (ذكوري) يجب أن تسحب منه هذه الصلاحيات، ويفكك ويشرح ليعود إلى الأصل، وهي الأنثى كما سمت نوال السعداوي كتابها (الأنثى هي الأصل) في خطاب يستند إلى الماركسية والتحليل الفرويدي، وهو خطاب صريح واضح وعدواني إلى الحد الذي جعل جورج طراييشي يصفها بأنها (أنثى ضد الأنوثة)، بعكس خطاب الغدامي<sup>128</sup> ونظرياته المستعارة في الفحولة والأنوثة فإنها تؤصل وتضرب الأعماق من بعيد، بطريقة (فحولية) أيضاً ويا للعجب!

ومن يتتبع مسيرة حركات التحرر ثم الأنوثة ثم الجنوسة والسياق المستعار عند فاطمة المرنيسي — مثلاً — ثم عند عبد الله الغدامي يجد القدرة على استقبال الأفكار وإعادة صياغتها ونشرها باللغة العربية.

لقد قدم الغدامي كتبه الثلاثة عن المرأة (المرأة واللغة) و (المرأة واللغة: ثقافة الوهم) و (تأنيث القصيدة والقارئ المختلف) وهو يحوم حول مفاهيم مستعارة وشواهد مجتزأة، لا ليصل إلى حلول عملية تجلب المصالح الحقيقية للمرأة، وتدفع المفاسد عنها، وإنما ليتحدث منتشياً بقدرته على التعاطي مع السوق النقدية العربية وفق نظام العرض والطلب، المتساق مع رهج العولمة وزخمها السياسي والاقتصادي والإعلامي. .... ثم هناك البعد الأخلاقي الخطير في دعوة (التأنيث) هذه؛ وذلك لامتلائها صراحة بالتحريض ضد الرجل، والتحريض ضد معالم الرجولة أو ما يسميه الفحولة، والتأجيج التاريخي واللغوي والعاطفي بين جنسين خلقهما الله ليتكاملا لا ليتصارعا.

128 — هو : عبدالله محمد الغدامي، استاذ النقد والنظرية قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الملك سعود. من مواليد عنيزة بالسعودية عام 1946م، حصل على الدكتوراه من بريطانيا 1978م

ومما يؤكد ذلك ما نقلته الناقدة (ضياء الكعبي)، وأشارت إليه في سياق دراستها لبعض مؤلفات الغدامي، وهي دراسة إطرائية متساوقة مع الغدامي إلى حد كبير. تقول الكاتبة: عندما تلقيت كتاب (المرأة واللغة) للمرة الأولى بسملت، وحوقلت...، وأذكر ما قالته لي صديقة متزوجة إنها عندما قرأت هذا الكتاب وصلت إلى مرحلة التطهير الأرسطي؛ فتمنت في عقلها الباطن أن تقتل زوجها انتقاماً من جنس الرجال قاطبة وما فعلوه بالنساء، وقتها حمدت الله أنني لست متزوجة؛ كي لا يكون مصير زوجي التقطيع في أكياس، إذن نستعيد بالله من فتنه القراءة الغدامية ومن شر إغوائها....

وغني عن القول أن هذه النظرية تصوغ المرأة إما أنها أكثر من أنثى أي (عدو للذكر) وخصم له، وإما أنها أقل من أنثى (متطابقة مع الرجل) باسم الجنوسة أو الجندر أو اليوني سكس، وفي كلتا النظريتين تسقط المرأة بوصفها الأم الحنون، والزوجة الرؤوم، والبنات البرة، والأخت الوفية، والمربية البانية، والمعلمة الحانية، ويحل محلها المرأة المتصارعة مع الرجل أباً كان أو زوجاً أو ابناً أو أختاً.

وبهذا السقوط تسقط الروابط الاجتماعية تحت حرب ميليشيات دعاة (الأنوثة) و (الجنوسة)؛ وبذلك تسقط الأسرة في الحرب المفتعلة بين الذكور والإناث؛ وبذلك يتلاشى جوهر الوجود الإنساني؛ إذ يصبح كل فرد عبارة عن وجود رقمي مستقل، يعيش مصلحته الخاصة، ورغباته الذاتية، ويسقط في قبضة الحياة المادية الساحقة، ويتلق في حرب مستمرة قاتلة لكلا الطرفين<sup>129</sup>

3- الخطر الفكري :

يحمل الفكر الحداثي في جملته مجموعة من التوجهات في غاية الخطورة على كافة جوانب الحياة الإسلامية، من هذه الأفكار والتوجهات تلك النقمة على تراث الأمة التي يلح عليها أصحاب هذا الفكر، ولا ندري ماذا بين هؤلاء وبين تراث الأمة الذي أنتجته العقول الإسلامية خلال أربعة عشر قرناً، واستفادت من أمم الأرض وتقدمت به، هل التقدم مرهون في نظر هؤلاء بنبذ التراث والانقلاب عليه، أم أنها العمالة للغرب والارتقاء في أحضانه؟ ولم يتوجه هؤلاء إلى محاربة الدين الإسلامي ؟ هل كان ديننا يوماً ما سبياً في تخلف الأمة ؟ أم أنه لابد من إعلان الكفر حتى نلحق بركب التقدم ؟ وما العلاقة بين هذه المتناقضات ؟ إن كانت النصرانية المحرفة هي سبب التخلف في أوروبا، ولم يشم الغرب رائحة الحرية والتقدم إلا بنبذ الدين، فإن ديننا على العكس من ذلك، فتقدم المسلمين مرتبط قطعاً وحتماً بالعودة إلى دينهم .

إن الفكر الحداثي أنشأ الكبر والغرور في الفكر عندما أعلن مبدأ العقلانية، أو تأليه العقل على نحو ما ذكرنا في مبادئ الحداثة، حيث جعل العقل حاكماً على كل شيء، كما أنه في ذات الوقت

<sup>129</sup> -انظر / مقال الغامدي في الشبكة الإسلامية مصدر سابق ، المرأة والجندر الفصل الأول.

أورث الحيرة والشكوك بمنهج الشكي، ومن هنا لجأ هؤلاء إلى الغموض والإغراب في كل شيء

والفكر الحدائي عندما ظهر لم يقدم مشروعاً أو نظرية إصلاحية لحل مشاكل الأمة المهلهلة إنما جاء بفكر مضطرب وصفه أصحابه بالهدم، والقلق، والاضطراب، والقطيعة.... إلى غير ذلك مما يزعزع العقل المسلم ويشوش عليه .

إن فكرة عدم الثبات في كل شيء، وفكرة التغير المستمر، وفكرة الصيرورة إلى آخر تلك الترهات المخالفة للمنطق والواقع والدين، كل هذه الأفكار تحير العقل ولا تجعل له منهجاً يوثق به، لأنه لا شيء يوثق به بناء على الفكر الحدائي، وهذا ضرب للواقع الفكري الإسلامي الذي يؤمن بالثواب والمتغيرات، ثوابت هي محور وجوده وكيونته، ومتغيرات تعطيه المرونة والتكيف مع الزمان كله والمكان كله، ومن هنا فالفكر الحدائي تعد على الثوابت التي هي عناصر وجود الأمة ودوامها.

ومن مخاطر الحداثة الفكرية أنها ترسم منهجاً منحرفاً لحياة الإنسان يخالف منهج الله تعالى الذي رسم منهج السعادة له في الدنيا وفي الآخرة، فالحدائيون على حد قول د/عدنان النحوي يرسمون " الصورة المنحرفة لسعي الإنسان إلى التغير، وسعيه وراء الجديد، سعيًا متفلتًا من الإيمان والتوحيد، غارقاً في ظلام الشرك والإلحاد، سعيًا يجمع اليوم خبرة آلاف السنين في الانحراف والشذوذ، والأمراض النفسية والعصبية، والشر والفساد في الأرض وطغيان الشهوة الجنسية المتفلتة الملتهبة، وفورة سائر الشهوات المدمرة، وسيطرة الخمر والأفيون والمخدرات، لتدفع هذه كلها أو بعضها، ردود فعل نفسية عنيفة غير واعية، تظهر في الفكر والأدب والسلوك، في ثورة هائجة تحاول هدم الماضي بصورة مستمرة متتالية، حتى لا يبقى حسب ظن رجالها شيء ثابت في الحياة، في هجوم جنوني على الدين واللغة، وعلى التراث كله بما فيه من خير وشر، وثورة على الحياة، وعلى سنن الله في الكون، بين قلق الشك والريبة، وفجور الكبر والغرور، إنها تمثل انحطاط الإنسان إلى أسفل سافلين بما كسبت يده" <sup>130</sup>

والخلاصة: أنه لا يتصور إصلاح يحمله الفكر الحدائي وهو في حقيقته خليط من فكر ماركسي ووجودي، ونصراني، وكل ألوان الفلسفة الغربية الملحدة والمنحرفة عن الفطرة والعقل والهداية، ومع كل هذا راج هذا الفكر في البلاد العربية، لا لأنه فكر صالح ينهض بالأمة ويغير حالها إلى الأفضل إنما كان رواجه لسببين هما :

" 1- جنوح الناس إلى الخروج عن المؤلف ولهاثهم خلف " العصرية " !!

130 - تقويم نظرية الحداثة ص 135 - 136.

### المبحث الرابع

#### كيفية مواجهة الخطر الحداثي

في خاتمة هذا البحث الموجز، وبعد بيان الخطر الحداثي الداهم على عقيدة ماذا يمكن أن يقدمه أهل الإسلام عموماً وأهل العلم والدعوة خصوصاً لرد هذا الظلام الحداثي والتضليل الغربي الوافد والذي يقدمه لنا الحداثيون ؟ إنني هنا أحاول وضع تصور وجيز يمثل في نظري المحاولة الجادة لمن أراد أن يقدم شيئاً إعاداراً إلى ربه، وخدمة لدينه، وحماية لأُمته ، وهذه بعض المقترحات في كيفية المواجهة:

#### 1- إبراز الثوابت الإسلامية والتركيز عليها :

إذا كان الحداثيون يؤمنون بتغير كل شيء، فلا شيء عندهم اسمه الثبات، فإنه لا بد من التركيز في مقابل ذلك على أن لا بد من ثوابت لكل أمة، ولنا نحن المسلمين ثوابت عقائدية وأخلاقية وتشريعية وفكرية هي محل إجماع الأمة، جعلها الله تعالى ركائز ومعالم تعبر عن حقيقة الأمة، تجتمع عليها من مشارق الأرض ومغاربها، وتوحد بينها على اختلاف قومياتها وأجناس أبنائها وألوانهم ولغاتهم، فعلى الدعاة وأهل العلم ألا ينشغلوا بالفروع عن تلك الأصول والقطعيات، وأن يبرزوا في مجامعهم وخطابهم ومكتوباتهم وأحاديثهم المختلفة هذه الثوابت ويركزوا عليها ليحفظها المسلمون فلا يقبلون تميعها أو تجاوزها بحال، ويتعلم المسلمون أن إنكار القطعيات وتجاوزها كفر، حيث قرر علماؤنا أن إنكار المعلوم من الدين بالضرورة كفر وخروج عن الدين .

#### 2- إحياء اللغة العربية والحفاظ عليها:

لا بد من بيان فضل العربية، وضرورة التمسك بها في الخطاب، وأن الحديث بها من شعائر الإسلام، ولأهميتها عد العلماء المعرفة بها من شروط المجتهد، كما يجب إظهار مؤامرة أعداء الإسلام في إحياء اللهجات العامية والقومية كبديل عن اللغة العربية، وبيان أنهم إنما فعلوا ذلك ليقطعوا العرب والمسلمين عن لغتهم مما يؤثر في فهمهم لآيات الكتاب وأقوال نبيهم صلى الله عليه وسلم، ومن هنا نقول : يجب أن تكون العربية هي لغة وسائل الإعلام، والأعمال الفنية، وهي اللغة التي يستعملها المدرسون في المدارس والجامعات والمساجد، وتطبق القوانين التي تنص على عدم جواز كتابة أي إعلانات بغير اللغة العربية، ثم إن من الأمانة الملقاة على وزارات الثقافة

والإعلام في البلاد العربية ألا تسمح بأي عمل فكري أو ثقافي يهون من شأن العربية أو يكون بديلاً عنها، فإن الحداثيين يتخذون هذه الوزارات منبراً يثون من خلاله أفكارهم وسمومهم .

### 3- إبراز محاسن الإسلام :

يحاول الحداثيون في أعمالهم أن يعيوا الإسلام بأي طريقة، جاهدين أن يظهروه سبباً للتخلف والرجعية، وفي نفس الوقت يحاولون جاهدين أن يظهروا النموذج الغربي كأنموذج للاقتداء والتأسي، فهم لا يخفون أبداً انبهارهم بالغرب وضرورة أخذ تقنياته وفكره وفلسفته لا فصل بينهما، وتجاهل هؤلاء عن عمد وقصد أن أمتنا تملك المشروع الرباني الحضاري الراقي المبرأ من النقائص لأنه دين الله تعالى، ولهذا وجب على المسلمين قاطبة وأهل العلم خاصة أن يبرزوا محاسن الإسلام الذي حاول الحداثيون أن يرسموا له صورة شائبة منفرة، كما يجب أن يبرزوا عوار تلك الحضارة الغربية التي يتنادى هؤلاء بها، والتي أشقت الإنسان فأهدرت أشواقه الروحية، وخصائصه الإنسانية، وهي وإن وفرت له بعض الجوانب المادية لكنها عجزت عن أن تمنحه الطمأنينة والسعادة، وليس أدل على ذلك من تلك الحروب التي تعم وجه الأرض في العصر الحاضر، تحصد آلاف الأرواح، وتدمر هنا وهناك، "وحسبنا أن نعلم أن القرن العشرين شهد مصرع (12). مليون شخص قتلاً في الحروب التي وقعت فيه، والتي بلغ عددها (13). حرباً، وهذا العدد يفوق عدد من قتلوا في كل الحروب قبل سنة (19).م، وحسبنا أن نرى أنه عندما انتشر مرض " الإيدز" المرعب، لم تهتم الدول الكبرى في أن تعالج أسباب المرض أبداً، وإنما أصرت على بقاء الأسباب وهي في نفس الإنسان، وفي انفلات شهواته وهواه"132

إن محاسن الإسلام ينبغي علينا إبرازها ليعود الناس إليه، بعد أن يدركوا ربانيته وعدالته وإنسانيته .

### 4- توضيح جوانب المؤامرة على الإسلام والقائمين بها

تأتي الحادثة في سياق سلسلة من المؤامرات المتعددة على الإسلام وأهله، فمرة الشيوعية، ومرة الوجودية، ومرة الاستشراق، ومرة الحادثة إلى غير ذلك من الاتجاهات التي تصاغ في الأروقة الصهيونية، والمجامع الصليبية، والمحافل الشيوعية والوثنية، والله تعالى يقول "ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء"133 ولقد فصل الله تعالى للأمة مؤامرة الأعداء وقال عن ذلك: "وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين"134، وحتى لا ينخدع المسلمون بهذه التيارات الكافرة ينبغي على الدعاة والقائمين على الإصلاح أن يبصروا الأمة بأعدائها، ويبينوا لها

132 - تقويم نظرية الحادثة 98

133 - سورة النساء جزء من آية رقم (89).

134 - سورة الأنعام آية (55)

تلك الأساليب والشعارات البراقة التي ظاهرها الرحمة أحياناً وباطنها السم الزعاف، ومما ينبغي التنبيه إليه ((حرب الألفاظ والمصطلحات)) التي تستعمل في هذه الحرب، فالفسوق وتجاوز الحدود الأخلاقية والشرعية تسمى عند هؤلاء (حرية)، وإنكار الغيب والتعدي على مقام الألوهية يسميه هؤلاء فكراً وبحثاً ونقداً وعقلانية، والإيمان يكتب الله تعالى وآخرته يسمونه (خرافة وأساطير) بينما الكفر والفسوق هو التحرر والتقدم، وتبديد الدين هو التجديد والحداثة، وقد نصح الله تعالى الأمة بالتنبيه لمثل هذه المؤامرة اللفظية فقال سبحانه: "يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا"<sup>135</sup>، فعلى الدعاة كشف هذا الزيف، وتحذير الأمة من دعائه ليحقق الدعاة في أنفسهم معنى العدالة التي هي من صفات حملة هذا الوحي كما دل على ذلك الحديث الشريف الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"<sup>136</sup>

#### 5- توفر طائفة من العلماء للرد على شبهات هؤلاء الأعداء

لابد من جهود تصرف لبيان زيف هذه المزاعم، بل تخصص في ذلك، فهناك مراكز الأبحاث، وهناك الأقسام العلمية وهناك الكتاب المسلمون والدعاة المخلصون، ينبغي أن يتخصص من هؤلاء نفر يهتمون بهذا الفكر كما اهتم به الأعداء ووفروا له من المال والأفراد والمؤسسات من ينشره ويشيعه في الأوساط المختلفة، وإذا كان هذا زمن التخصصات العلمية الدقيقة فينبغي على الأمة أن تتقن وتتفنن في الرد على أعدائها الذين عندهم جلد في جعل الباطل حقاً يصدق الناس ويلهثون وراءه، فليكن ذلك الجلد والصبر من صفات الدعاة إلى الله . وقديماً قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: "اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة".

#### 6- تفهيم الإسلام

ونقصد بهذا المقترح أن يجتهد الدعاة في شرح حقائق الإسلام، وبيان خصائصه وضرورته لحياة الناس، وهذا من باب التحصين ضد أي فكر منحرف، فعندما يفهم المسلم دينه يكون من المستبعد أن يتقبل تشكيكاً في دينه أو الترحيب بأي فكرة تضاد عقيدته، لكن الحاصل الآن أن السطحية التي عليها المسلمون في فهم الدين كانت السبب الأكبر في التأثير بهذه الأفكار الخداعة، فعلى المسلم أن يجتهد في فهم دينه، ويسأل أهل العلم فيما يعن له، وعلى الدعاة بذل أقصى الوسع في مسألة تفهيم الناس الإسلام، ونحن على يقين بأن الخطاب الديني - خاصة الرسمي - يعتره قصور كبير في الأسلوب والمحتوى والوسيلة مما أوصل الجمهور إلى النفور الكبير من كثير من الدعاة، فليكن الخطاب الإسلامي المعاصر متكافئاً مع مستوى المواجهة والمعركة ضد أعداء

135 - سورة البقرة جزء من آية رقم (104)

136 - الحديث رواه البيهقي وصححه الأمام أحمد وغيره .

الإسلام والحاقدين عليه، وليكن من أولويات الدعاة اليوم التركيز على شرح حقائق الإسلام ومدي أحقيته وحضارته، بدلا من تناول قضايا هامشية تزيد في الجهل بالدين، وتبعث الشقاق بين المسلمين .

#### 7- بيان المرجعية الإسلامية للأمة

من الضروري جدا التأكيد على مرجعية المسلم في فهم الحقائق والحكم على الأشياء، والمرجعية هي " الكتاب الكريم والسنة المطهرة"، وأن العلماء الثقات هم الذين يرجع إليهم في المسائل الشرعية، ويوضح للمسلمين أن ليس لكل أحد أن يتحدث عن الإسلام، فليس الدين كالأفكار مباحا لكل من هب ودب، فلقد رأينا - وهذا من البلاء - أن الجميع يتحدث عن الإسلام، ويكفي أن يتابع المرء بعض القنوات التلفزيونية ليجد الجميع يتكلمون عن الدين شرحا وتفسيرا وتقريرا، حتى أعداء الإسلام من العلمانيين والحدائيين وأهل الفسق والفجور كل يتناول هذا الدين بالحديث عنه، لذلك أرى من الضروري أن نبين للناس عدة حقائق منها:

- القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في التعرف على أحكام الإسلام، ويفهم القرآن الكريم وفقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات<sup>137</sup>.

- أن أهل الذكر في المسائل الشرعية هم العلماء الثقات المتخصصون في علوم الشريعة الذين أفنوا أعمارهم وبذلوا جهودهم في تعلمها وتعليمها، وفهم مقاصدها وحقائقها، لا يشترطون بآيات الله ثمنا قليلا، ولا يخافون في الله لومة لائم، لا يخافون حاكما ولا يداهنون محكوما .
- أن لفهم الشريعة قواعد قررها العلماء هي المرجع في تفسيرها واستنباط الأحكام من نصوصها، أما أولئك الحاقدون الذين يخضعون الشريعة لأهوائهم، ويفسرونها بمقتضى عقولهم مع بالغ جهلهم، وفيض حقدهم فأنى لهم أن يقولوا صوابا، وأنى لهم أن يستمع إليهم .
- الثقة في المسيرة العلمية والفكرية والفقهية للأمة، إذ كيف يجيء إنسان هزيل حاقدا يأتي في ذيل التاريخ ليس له نصيب إلا دراهم أو دولارات قبضها في مقابل أن يسفه العلماء والمجتهدين في تاريخنا، فهذا يتهم أبا حنيفة ومالكا والشافعي، وذاك يشكك في البخاري ومسلم، وآخر يتهم حتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف نقبل من يريد محو تاريخنا بجرة قلم كما يقولون، فلنبين للأمة مدى جهد السابقين وجهادهم في حمل هذه الرسالة، وتوصيلها إلينا، وخيب الله أمة لعنت أسلافها، وتنكرت لتراثها.

137 - انظر / مجموعة الرسائل للإمام الشهيد حسن البنا رسالة التعاليم ص 3 - ط دار الدعوة - القاهرة - بدون.



- التفريق بين الوحي المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، وبين الفكر الإسلامي الذي هو اجتهد العقل المسلم عبر العصور، فهو يعتريه الخطأ والذهول وغير ذلك مما هو من طبيعة البشر، لكن لا يكون ذلك مدخلا للطعن في الدين نفسه ولا مبررا لإهالة التراب على جملة التراث، ولكن القاعدة المعروفة في ثقافتنا الإسلامية : أن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم . إذا تقرررت هذه المقدمات ففي ظني أنها ستكون ضابطا للعقل المسلم وسط هذه الأعاصير العاتية التي ترد علينا من الشرق تارة ومن العرب تارة أخرى.

بهذا نصل بفضل الله تعالى إلى خاتمة بحثنا الوجيز حول الحداثة، أسأل الله تعالى بمنه وفضله، أن يرد عنا كيد الكائدين من الحداثيين وغيرهم، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارائه إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم .

#### المراجع

1. الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها دراسة نقدية شرعية د/ سعيد بن ناصر الغامدي - ط الأولى - دار الأندلس الخضراء - السعودية - 2003 م
2. السيف البتار في نحر الشيطان نزار ومن وراءه من المرتدين الفجار ممدوح بن علي بن عليان السهلي الحربي - الطبعة الثانية 1420 هـ - 2000 م - دار المآثر - للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية.
3. حوار عن بعد حول حقوق الإنسان في الإسلام - الشيخ/عبدالله بن الشيخ المحفوظ بن بيه - ط الأولى 2..3 م - دار الأندلس الخضراء - السعودية.
4. حقوق الإنسان محور المقاصد الشرعية لمجموعة من المؤلفين - كتاب الأمة العدد (87) .
5. الاعتصام للإمام الشاطبي .
6. الموافقات للإمام الشاطبي .
7. المدخل د / علي جمعة محمد - ط الأولى - 1996م المعهد العالمي للفكر الإسلامي - القاهرة .
8. خلاصة علم الوضع للشيخ العلامة يوسف الدجوي - مكتبة القاهرة - القاهرة - بدون
9. مجلة جذور - مجلة فصلية تعنى بالتراث وقضاياها - مقال الأستاذ الهادي الرزيني - بعنوان (تراثنا العربي وأبعاده) عدد محرم 1424هـ - مارس 2003 م .
10. تاريخية الفكر العربي الإسلامي - محمد أركون - ترجمة هاشم صالح - ط الثالثة - 1998م - المركز الثقافي العربي الدار البيضاء - المغرب

11. النقد الحضاري للمجتمع العربي - ط الأولى - 99 م - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت .
12. أوروبا العصور الوسطى / التاريخ السياسي ط العاشرة 986 م مكتبة الأنجلو المصرية .
13. (العالم في عام رصد رقمي لأحوال العالم) حسن قطامش ط الأولى 2002م - 1423هـ -
14. العمدة لابن رشيقي - مكتبة الأنجلو المصرية -
15. حركة الحداثة آراؤها وانجازاتها د/ ديزيره سقال - ط الأولى - دار الصداقة العربية - لبنان - بيروت.
16. مجلة الحرس الوطني عدد(86) ، نوفمبر 1989 م .
17. " مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة " للكاتب الحداثي د/علي وطفة مجلة فكر ونقد من موقع محمد عابد الجابري العدد تاريخ
18. تقويم نظرية الحداثة د/ عدنان علي رضا النحوي- ط الأولى 2004هـ - 1992م دار النحوي للنشر والتوزيع - السعودية .
19. مقدمة في صنع الحدود والتعريفات /عبد الرحمن بن معمر السنوسي -ط الأولى 2004 م دار ابن حزم - بيروت - لبنان.
20. الحداثة من منظور إيماني- ط الأولى- دار النحوي للنشر والتوزيع - السعودية
21. جريدة الندوة السعودية - عدد(8424) 4/ 3/ 1407هـ.
22. دفاع عن ثقافتنا جمال سلطان -دار الوطن للنشر -ط الأولى 24 هـ.
23. انظر / دليل الناقد الأدبي د/ ميجان الرويلي د/ سعد اليازغي - ط الأولى دار العبيكان- السعودية - 1995م .
24. والمرأة والجنود د/أميمة أبو بكر، د/شيرين شكري - ط الأولى 2..2 - 1423 هـ -دار الفكر -دمشق- دار الفكر المعاصر- بيروت .
25. مجموعة الرسائل للإمام الشهيد حسن البنا رسالة التعاليم - ط دار الدعوة - القاهرة - بدون.
26. الصحاح في اللغة والعلوم /ندم مرعشلي - أسامة مرعشلي تقديم الشيخ /عبد الله العلايلي - ط الأولى - دار الحضارة العربية -بيروت- 1975م -
27. ومختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي - ط مكتبة لبنان - 1999م- إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان.
28. الحداثة في ميزان الإسلام د/ عوض القرني - ط أولى - دار الأندلس الخضراء -السعودية

29. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي  
- ط الثالثة 1418هـ - بإشراف د/ مانع بن حماد الجهني . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر  
والتوزيع - السعودية .

30. الموسوعة العربية العالمية - وهي موسوعة مترجمة عن دائرة المعارف العالمية طبعت  
1994/93/92 م مع تنقيح المواد ومواءمتها عربيا وإسلاميا - مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر  
والتوزيع الرياض - السعودية .

31. 1 - مواقع شبكة المعلومات العالمية :

[www.saaaid.net](http://www.saaaid.net)

32. [www.ikhwanonline.com](http://www.ikhwanonline.com)

33. [www.aljabriabd.com](http://www.aljabriabd.com)

34. [ww.libyaforum.org](http://ww.libyaforum.org)

1. [www.islamweb.net](http://www.islamweb.net)